منهج علماء الهند
في الدعوة والتربية الإسلامية

محمد واضح رشيد الحسني الندوي

الناشر

مكتبة أبي الحسن بدلهي

www.abulhasanalinadwi.org

الطبعة الثالثة

١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م

حقوق الطبع محفوظة

نطلب جميع كتبنا من :

١ - مكتبة الكوثر بالمدينة المنورة
شارع المتين ، ص ب ـ ٣٠٤٠
المدينة المنورة
٢ - المكتبة الندوية ، شارع المنصور
مكة المكرمة

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد .

لقد أنجبت الهند في عصور مختلفة شخصيات نورت العالم بالعلم ، والتورع ، والتقوى ، والإنابة إلى الله ، وتاب على يدها ألوف من الناس ، وصلحت حياتهم ، واهتدى ألوف من غير المسلمين ، وصلحت حياة الأمراء ، والسلاطين ، وقد عرفت الأوساط العلمية الإمام السرهندي ، والإمام ولي الله الدهلوي ، والإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، والعلماء الذين أثروا المكتبة الإسلامية

www.abulhasanalinadwi.org

بتأليفاتهم العلمية ، ولكن خفيت أدوار الشخصيات التي كانت من أتباع هؤلاء الأعلام المعروفين .

ذكر الشيخ مراد بن عبد الله في ذيل الرشحات عن الشيخ محمد معصوم السرهندي (١٠٧٩هـ) أنه كان آية من آيات الله مثل والده الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي ، نور العالم ، وبدد ظلمات الجهل والبدع ، وقيل بايعه تسع مائة ألف شخص ، وعدد خلفائه سبعة آلاف ، كان منهم الشيخ حبيب الله البخاري أعظم مشايخ خراسان و ما وراء النهر في زمانه ، وقد تنورت بخارى بنور السنة .

وجاء عن الشيخ آدم البنوري الذي كان أيضاً من أصحاب الإمام السرهندي أنه بلغ من رتبة لم يصل إليها كثير ممن عاصره من المشايخ ، وكانت طريقته اتباع الشريعة المحمدية ، لا ينصرف عنها قيد شعرة في الأقوال ولا في الأفعال ، وقيل : إن أربعمائة ألف مسلم بايعوه .

سار إلى لاهور سنة ١٠٥٢هـ وكان معه عشرة آلاف من السادة والمشايخ ، وكان الإمبراطور شاهجهان المغولي بلاهور فاستعظمه ، و أمره السلطان شاهجهان لتزايد شعبيته أن يسافر إلى الحرمين ، فسافر و حج وسكن في

www.abulhasanalinadwi.org

المدينة المنورة ، حتى مات ، ولم يخالف أمر السلطان تفادياً للفتنة .

أما الشيخ مرزا مظهر جان جانان (١١٩٥هـ) فيقول عنه الإمام ولي الله الدهلوي : لا تخفى عليّ أخبار رجال الهند وسيرهم ، فقد ولدت هنا وعشت ، و زرت البلدان العربية ، وقمت فيها برحلات ، وجولات ، وسمعت أحوال رجال أفغانستان وإيران من أهلها الثقات ، توصلت بعد كل ذلك إلى أنه لا يوجد في أي بلد من هذه البلدان مربّ روحي يضاهيه في اتباعه للكتاب والسنة ، وتمسكه بهما ، واستقامته على جادة الشريعة والطريقة ، ويساويه في علو كعبه في إرشاد الطالبين ، وتربية السالكين ، و في قوة تأثيره في عصرنا هذا ، يمكن من غير شك أن يكون أمثاله في القرون الماضية .

لقد كان اتباع الشريعة والسنة ، وقول الحق ، والتعفف والاستغناء ، والتوكل والابتهال إلى الله ، سر تأثير هؤلاء المشايخ ، وانتقلت هذه السمة من جيل إلى جيل ، ونجد من يتصف بهذه الميزة بأقدار مختلفة في سائر العصور .

كان الشيخ فضل الرحمن الكنج مراداً بادي (١٣١٣هـ) من أتباع خلفاء الإمام السرهندي ، فقد أدرك

www.abulhasanalinadwi.org

الشيخ عبد العزيز الدهلوي ، والشيخ غلام علي ، والشيخ محمد آفاق ، وأخذ عنهم الحديث والطريقة ، يقول عنه العلامة الشريف عبد الحي الحسني : كان أكبر من رأيت وأعلمهم بهدي النبي صلى الله عليه و آله وسلم ودلّه وسمته .

كان لا يهاب أحداً في قول الحق ، وكلمة الصدق ، ولو كان جباراً عنيداً ، قد انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل ، والزهد والورع ، والشجاعة ، والكرم ، والجلالة والمهابة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مع حسن القصد والإخلاص ، والابتهال إلى الله تعالى ، وحسن الأخلاق ، ونفع الخلق ، والإحسان إليهم .

ويقول : إني ما وجدت في الأولياء السالفين من يكون مثله غير الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه .

هذا الكتاب هو في الواقع مقال قدمه الكاتب في المؤتمر التعليمي لندوة العلماء لكناؤ الهند في عام ١٩٧٥م بمناسبة الاحتفال بمرور ٨٥ سنة على تأسيسها استعرض الكاتب فيه جهود علماء الهند منذ العصر الأول إلى العصر الحديث في الدعوة الإسلامية ، وتربية النفوس ، والتزكية ، ومنهجهم في نصح الأمراء والسلاطين الذي كان يتسم

www.abulhasanalinadwi.org

بالتحفظ ، والاستغناء عن رجال الحكم ، و رجال الثروة ، والنفوذ ، واختيارهم السبل اللائقة حسب الظروف والأحوال السياسية والاجتماعية المتغيرة ، سواء كان ذلك في عهد الحكم الإسلامي ، أم كان في عهد الحكم البريطاني ، وبعد استقلال الهند ، وقيام حكومة الأغلبية غير الإسلامية .

وكيف تغيرت مناهجهم وطرقهم في الدعوة والإرشاد ، والاحتفاظ بالشخصية الإسلامية ، وتربية النفوس ، وكيف واجهوا تحديات العصور المختلفة بتجنبهم للمجابهة والصراع ، وقاموا بوقاية الأقلية الإسلامية من الاندماج إلى الأغلبية الوثنية .

وبهذا الاعتبار اشتمل الاستعراض على العصور الثلاثة عصر الحكم الإسلامي ، وعصر الحكم الإنجليزي ، وعصر الحكومة الوطنية التي تتبنى العلمانية ، لكنها تخضع للأغلبية الوثنية .

أعد الكاتب هذا الاستعراض بتوجيه الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي لتعريف المندوبين العرب الذين بلغ عددهم في هذا المؤتمر أكثر من ستين مندوباً ، وكان فيهم نخبة مختارة من العلماء والدعاة ، و رجال التربية والتعليم ، والإعلام ، ثم طبع هذا المقال في مجلة البعث

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلامي ، ولقي قبولاً لدى القراء العرب ،ثم طبع في شكل كتاب من دار عرفات في عام ١٤٠٨هـ (١٩٧٨م) بكلمة تقديم بقلم فضيلة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي .

وقد أضيف في الطبعة الثانية التي اعتنت بنشرها مكتبة أبي الحسن علي بدلهي ، منهج الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي لأنه يمثل المناهج الكبرى الثلاثة منهج الإمام أحمد السرهندي ، ومنهج الشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي ، ومنهج الإمام أحمد بن عرفان الشهيد الذين تركز الاستعراض عليهم بعد استعراض جهود مشايخ عصره كالشيخ محمد إلياس الكاندهلوي مؤسس حركة الدعوة والإصلاح ، والمصلح الرباني الشيخ عبد القادر الرائيبوري .

وقد امتاز الشيخ الندوي بمنهج يؤثر في المسلمين وغير المسلمين ، وفي الحكام والأمراء ، وفي الجماهير ، وهو منهج يستحق أن يوصف بالوسطية ، والاعتدال ، وانتشر نفوذه في سائر الأوساط ، بل كان كما وصفه بعض الكتاب جسراً بين العرب وغير العرب .

أسأل الله تعالى أن يكون هذا الاستعراض الوجيز

www.abulhasanalinadwi.org

معلماً من معالم طريق الدعوة والتربية الإسلامية ، ومؤشراً إلى جهة ومسار للدعوة الإسلامية التي تحيط بها الأخطار والتحديات من كل جهة في هذا العصر ، والله يهدي السبيل وما توفيقي إلا بالله .

ولا يفوتني أن أشكر الأخوين العزيزين محمود حسن الحسني الندوي ، ومحمد وثيق الندوي على مساعدتهما في مراجعة الطبعة الأولى والإضافة فيها ومساعدتهما في إخراج هذه الطبعة المزيدة المنقحة ، وكذلك أشكر الأستاذ نذير أحمد الندوي على تعاونه ، وجزاهم الله خير الجزاء .

محمد واضح رشيد الندوي
عميد كلية اللغة العربية وآدابها
بجامعة ندوة العلماء لكناؤ - الهند
١٤٢٤/١٢/٨هـ
٢٠٠٤/١/٣١

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي
الرئيس العام لندوة العلماء
ورئيس هيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد!

فإن البلاد الهندية بما فيها الآن دولة باكستان والهند، وبنجلاديش، وما يجاورها من أنحاء وأطراف ليست بلاداً عامرة خصبة في عدد أبناءها و أراضيها فحسب، بل إنها خصبة وغنية من ناحية النبوغ في أبناءها ورجالاتها أيضاً، فقد ظهرت فيها شخصيات كانت لهم ولا تزال مكانة عالية بما قاموا به من أعمال، وما أضافوه إلى التراث العلمي

www.abulhasanalinadwi.org

والفكري من ثروة ضخمة في مجالات مختلفة .

لقد دخل الإسلام في الهند مع غزوات القائد العربي العظيم محمد بن قاسم الثقفي ، وانتشر في أنحائها بجهود العلماء الربانيين الذين رافقوا الغزاة المسلمين ، ثم استقروا في مختلف أطراف البلاد ، فالفضل يرجع إلى هؤلاء العلماء في السهر على الغرس الإسلامي في هذه البلاد وتنميته وتقويته ، حتى بلغ المسلمون فيها إلى عدد لا يمكن الاستهانة به بين أعداد الشعوب والأمم الكبيرة في العالم .

وقد بلغ هذا العدد إلى حد الأغلبية في مناطق من الهند الكبيرة ، ومنها نشأت دولتان مسلمتان ، دولة باكستان ودولة بنجلة ديش ، وهو الذي جعل للبقية الباقية من المسلمين في المناطق المتوسطة من شبه القارة الهندية التي أغلبية سكانها غير مسلمة قيمة وضخامة لا يستهان بهما ، فقد تزيد الأقلية الإسلامية فيها على عدد المسلمين في أي بلد إسلامي ، أو غير إسلامي آخر باستثناء بلد أو بلدين في العالم كله ، فإن عدد المسلمين في الجمهورية الهندية وحدها يبلغ إلى مائة وبضعة عشر مليون مسلم رغم كونهم في أقلية .

ولكن المسلمين في الهند بذلوا الجهد لتكفلهم

www.abulhasanalinadwi.org

العلمي والديـــني ، وحـافظوا علـى عقيدتـهم وشـريعتهم ، وحلوا مشـاكل كثيرة مـن حياتـهم الاجتماعيـة والفرديـة ، وأقاموا لأنفسهم دولة علمية ودينية و دعويـة داخـل دولـة سياسية حكومية ، يدل على ذلك تاريخهم المجيد الذي يبتدئ منذ مئات من السنين .

وشـارك في بنـاء هـذا الكيـان الإسـلامي العظيـــم عشرات من العلماء والمفكرين والدعاة الإسلاميين ، ولكن الذين تركوا في التاريخ ومضـات مشـرقة ، وأمثلـة رفيعـة ، ومناهج قيمة يمكن تحديدهم في ثلاثة نبغاء ، فإنهم اختطـوا من سبل الدعوة والتربية وتطبيق الإسـلام طرقـاً أصبحـت نماذج رائعة للشعوب الإسلامية الآتية من بعدهم .

وهذه الشـخصيات العظيمـة الذيـن قـادوا العمـل الإسلامي في عهودهم ، وتركوا نماذج قيمة لمن يأتي بعدهـم، أولهم الإمام الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي المتوفـى (١٠٣٤هـ) ، والإمام الشيخ أحمـد بـن عبـد الرحيـم ولي الله الدهلوي المتوفى(١١٧٦هـ) ، والإمام أحمد بن عرفان الشهيد الرائي بريلوي المتوفى (١٢٤٦هـ).

هؤلاء الأحامدة العظماء الثلاثـة بنـوا مـن التـاريخ الإسلامي الهندي ما لم يبن غـيرهم في الدفـاع عـن العقيـدة

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلامية الصحيحة ، وتصحيح المسار السياسي إلى النمط الإسلامي السديد ، وتسليح المسلمين بالفكر الديني الإسلامي القويم العظيم ، بحيث أصبح تراث فكرهم وعملهم منارات للأجيال المسلمة الآتية تسير قوافلهم العلمية والفكرية والدينية في أضواءها .

إن تاريخ هؤلاء الأئمة الأعلام تاريخ حافل بنماذج رائعة من منجزات فكرية و دعوية وعملية ، تستحق أن يستفيد بها العاملون للإسلام في أي قطر من الأقطار التي يعيش فيها المسلمون كأغلبية أو كأقلية ، فإن نماذج هؤلاء تنير لهم جوانب من طريق العمل مما قد يستعصي عليهم تحديد خطه السليم المفيد .

لقد عاش أول هؤلاء القادة الأعلام ، وهو الإمام السرهندي في عهد كانت البلاد فيه خاضعة لإمبراطور عظيم ينتمي إلى الإسلام والأسرة الملكية المغولية المسلمة ، اسمه جلال الدين أكبر ، ولكن هذا الإمبراطور ساء ظنه بالإسلام ، و تأثر بنظرة المشركين فطغى و تجبر على الإسلام ، وحاول تحويله إلى دين جديد يجمع بين الإسلام حسب رأيه وبين دين المشركين المواطنين ، وسماه الدين الإلهي ، فكان ذلك صاعقة على الإسلام في هذه البلاد

www.abulhasanalinadwi.org

نزلت عليه من أحد المنتسبين إليه صاحب قوة وسلطان ، ومن أعظم الملوك في العالم كله .

وعجز أكثر قادة المسلمين في اختيار منهج حكيم لمجابهة هذا الخطر الذي كاد يستأصل شأفة الإسلام في هذه البلاد الكبيرة ، وهناك نهض الإمام أحمد السرهندي بفكره العظيم ، وعلمه الجم ، وحكمته البليغة ، واختط لعمله خطة هادئة مؤثرة ، استطاع بها في ظرف عقود من السنين إعادة رأس الحكم في البلاد إلى الخضوع للعقيدة الإسلامية الصحيحة ، والعمل السليم للإسلام الصحيح .

ونهض ثاني هؤلاء القادة للعمل في عهد كانت الحكومة الإسلامية في البلاد الهندية قد بلغت إلى آخر حالة من أحوال ضعفها ، فقد تكالب عليه الأعداء من كل جانب ، وعمت التفرقة والفوضى في كيان المسلمين ، وتضعضعت عقيدتهم ، وضعف كيان فكرهم ، وثقافتهم ، وأوشكوا أن يذوبوا تحت تأثير الأفكار المنحرفة السارية فيهم لهوان قوتهم السياسية ، فهناك استخدم الإمام أحمد بن عبد الرحيم ولي الله الدهلوي علمه العظيم وفكره العملاق وحكمته البارعة في دعم الفكر الإسلامي ، ونشر العلوم الإسلامية ، والعمل التربوي الحكيم ، فاستطاع

www.abulhasanalinadwi.org

بجهوده وجهود أبنائه وتلامذته أن يغطي البلاد كلها بالعمل الفكري والديني الإسلامي الصحيح ، ويحول اتجاه الأجيال الإسلامية الآتية إلى الهدف الإسلامي السديد .

وأخيراً جاء ثالث هؤلاء الثلاثة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد في العهد الذي زالت فيه الحكومات الإسلامية من أكثر مناطق البلاد الهندية ، وتغلبت الحكومات الكافرة ، وقوى الاستعمار والاحتلال فيها ، وكاد المسلمون أن يقتنعوا بالأمر الواقع ، ويخضعوا للأوضاع السائلة ، ويستنيموا إلى الاستسلام والمهانة .

فهناك نهض الإمام أحمد بن عرفان بعمل الدعوة والتربية والجهاد على الأساس الديني الإسلامي الصحيح ، وأحدث تغيراً هائلاً في أوساط المسلمين ، واستطاع من إدخال عدد حافل من المشركين في حظيرة الإسلام ، وقام بالجهاد الإسلامي الذي كان المسلمون قد غفلوا عنه وتناسوه منذ مدة .

لقد اعتني سماحة الشيخ أبي الحسن على الحسني الندوي بشرح نماذج هؤلاء الأئمة الأعلام في سلسلة كتبه المدعوة بـ " **رجال الفكر و الدعوة في الإسلام** "، وأفرد مجلدات بعينها لهؤلاء الثلاثة من أعلام الدعوة والفكر

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمين ، وهي مجلدات ضخام قد لا يتوفر لبعض الدارسين الوقت لقراءتها ، فأراد أخي العزيز الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي أن يستعرض من أعمال هؤلاء الثلاثة وجهودهم في دعم الفكر الإسلامي ، واختيار المنهج الأقوم للعمل الإسلامي ، ويعرضها في كتاب مختصر ، يسهل قراءته والاطلاع على أحوال هؤلاء الأئمة الأعلام الذين لجهودهم تأثير كبير في بقاء الأمة الإسلامية في الهند بخصائصها الإسلامية الثقافية والدينية ، وبمراكزها العلمية والدعوية والتربوية ، وبجماعاتها النشيطة العاملة للإسلام في طول البلاد وعرضها .

ولقد بنى الأخ الكريم الأستاذ واضح رشيد الندوي عمله هذا على مصادر تاريخية موثوق بها مثل كتب سماحة الشيخ الندوي ، وكتاب نزهة الخواطر للعلامة السيد عبدالحي الحسني الذي يعد معلمة تاريخية إسلامية كبيرة لرجالات هذه البلاد ، وكذلك مصادر أخرى لتاريخ الإسلام والمسلمين في الهند .

أرجو أن هذا الكتاب الصغير في حجمه ، الكبير في موضوعه ، يقدم صورة لمآثر الدعاة والمفكرين المسلمين في الهند ، وعرضاً للمنهج الدعوي والتربوي السديد المفيد في

www.abulhasanalinadwi.org

هذه البلاد المزدوجة من الكيانين الإسلامي وغير الإسـلامي بشيء مـن الاختصـار ، والله مـن وراء القصـد ويـهدي إلى الصراط المستقيم .

محمد الرابع الحسني الندوي
١٤٠٨/٤/١٦هـ
١٩٨٧/١٢/٢٣م

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

منهج علماء الهند في الدعوة والتربية

دخلت الهند في خريطة العالم الإسلامي في القرن الأول للهجرة بعد فتح "السند" بيد محمد بن قاسم الثقفي ، ثم دخلت القبائل الأفغانية التي كانت تدخل الهند في موجات متتالية من شمال غربي الهند ، ثم تعود إلى مقرها ، وظل الحكم متداولا بين حكام مختلفين من غزنيين وغوريين وغيرهم من الأسر الحاكمة والمماليك إلى عهد الملك المغولي همايون بن بابر الذي تولى الحكم في عام ٩٣٢هـ ، فأقام حكم المغول الذي دام إلى القرن الثالث عشر ، وانتهى باستيلاء الإنجليز على الهند كليا بعد نفي آخر ملوك المغول بهادر شاه ظفر إلى "بورما" في عام ١٢٧٣هـ(١٨٥٧م) .

كان أول من دخل الهند من الفاتحين من غير العرب ، والذين دخلوا بطريق الجبال الغربية محمود

www.abulhasanalinadwi.org

الغزنوي (٣٨٨-٤٢١هـ)صاحب الحملات المتتالية المشهورة ، وكان مدفوعاً بالعاطفة الإسلامية الجياشة ، والدعوة الإسلامية ، وكان يرافق جيشه علماء ينشرون الدين ، وباحثون يدرسون البيئة الهندية وطبيعة الهنود مثل أبي الريحان البيروني الذي ألف كتاباً عن الهند يعد مصدراً كبيراً لدراسة البيئة الهندية وخصائص سكانها ، وكان محمود الغزنوي يحب العلماء ، ويكرم رجال الدين ، ويحترم العلم ، فكانت حملاته فاتحة لأبواب الهند للإسلام ، وخلف الغزنويين الغوريون وكانوا قد أسلموا في القرن الرابع للهجرة ، فكانوا حديثي الصلة بالإسلام ، لكنهم كانوا ذوي عاطفة إسلامية ، وفي أعقاب فتح الغوريين لدلهي بدأ استقرار المسلمين في الهند .

كان الفاتحون الأولون للهند حديثي العهد بالإسلام ، ولم تتح لهم ولجيوشهم فرصة التربية الإسلامية ، وكان جيشهم يشتمل على عدد من غير المسلمين ، لكنهم رغم ذلك كانوا متصلين بالعلماء والمصلحين ، الذين كانوا يركزون على نشر الإسلام والتربية الإسلامية ، وقد رافقت طبقة من العلماء الربانيين هؤلاء الغزاة ، واعتنت بتربيتهم ، وكان هؤلاء العلماء يقصرون جهودهم على

www.abulhasanalinadwi.org

التربية ، والدعوة ، وإصلاح الباطن ، ونشر العلوم الإسلامية ، ويتجنبون كل فرصة للصدام مع رجال الحكم ، ويصلحون فساد علماء السوء والمتصلين بالبلاط ، وكانوا لا يتركون أي فرصة تتاح لهم لإسداء النصيحة للحكام ، ويرعون مصلحة المسلمين العامة عن كثب ، ولكن من وراء الستار ، ويبذلون جهدهم لتوجيه الحكام ، والمتصلين بهم ، وتربية من كان يرتاد إلى مجالسهم ، متمسكين بالتعاليم الخلقية ، والتعفف والاستغناء ، وكانوا مصدر إلهام وتغذية لكل حركة ، وكل جهد لخدمة الإسلام ورفع كلمته ، ونشرها ، فكان مثلهم مثل القناديل التي تنير الطريق وترشد الناس .

يقول الشيخ أبو الحسن على الحسني الندوي :

"يحمل القرن السادس للهجرة أي القرن الثاني عشر للميلاد أهمية خاصة في التاريخ الإسلامي ، فقد كان في أواخر هذا القرن يضاف إلى العالم الإسلامي الواسع بلد جديد كان غنياً بالمواهب والودائع الطبيعية ، والذي قدر له أن يكون في المستقبل القريب مأمناً للعلوم الإسلامية ، ومحافظاً لها ، ومركز الثقل للدعوة الإسلامية .

كان محمد بن القاسم الثقفي قد فتح السند إلى

www.abulhasanalinadwi.org

ملتان في القرن الأول بسيفه وأخلاقه ، وقامت في الهند به مراكز وزوايا للإرشاد والهداية كجزر صغيرة ، وكالقناديل في الليلة الظلماء ، لكن فضل فتح الهند حقيقة يرجع إلى السلطان محمود الغزنوي (٤٢١هـ) ، ويرجع فضل حكومة مستقرة متينة إلى السلطان شهاب الدين محمد الغوري (٦٠٢هـ) ، كذلك قدر فتح الهند روحانياً وأخلاقياً وإيمانياً وتسخيرها كلياً للإسلام لشيخ الإسلام الأكبر معين الدين الششتي السجزي(٦٢٧هـ).

وصل عدد من رجال التربية والدعوة الإسلامية إلى الهند في عصور مختلفة ، وأفادوا البلاد ، لهم نصيب في بناء الهند الإسلامية ، ولكن الفتح الروحاني للهند ، و فضل غرس شجرة الإسلام في هذه البلاد غرساً دائماً تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها كان في نصيب الشيخ معين الدين السجزي وأتباعه وخلفائه[1].

دور الشيخ معين الدين السجزي
في دعم الحكم ، والدعوة الإسلامية:

كان الشيخ أبو محمد الششتي يرافق جيش السلطان

---

[1] المسلون في الهند

www.abulhasanalinadwi.org

محمود الغزنوي في غزو الهند ، واستشهد في الطريق ، وصحب الشيخ معين الدين جيش السلطان شهاب الدين الغوري في "غزو أجمير" فانهزم برتهوي راج الملك الهندي في المعركة ، وفتحت الهند روحانياً باستيطان الشيخ معين الدين لأجمير عاصمة حكومة برتهوي راج ، فلما نالت دهلي الأهمية السياسية بعث إليها أحد مسترشديه الشيخ قطب الدين بختيار الكعكي للتعليم والتربية ، فسطعت شمس الهداية والإرشاد التي نورت البلاد بكاملها ، ولا تزال ساطعة وأشعتها لامعة منتشرة في كل مجال من المجالات الإسلامية في الهند .

وصف صاحب سير الأولياء حالة الهند لدى وصول الشيخ معين الدين الششتي بقوله" كانت الهند من أقصاها إلى أدناها بلاد الشرك والكفر ، وكان أهل الكفر ينادون"أنا ربكم الأعلى" ويشركون بالله ، ويعبدون الحجر والشجر والأنعام ، والبقر والروث ، وغلب الكفر ، وسادت الغفلة عن دين الله ورسوله ، لم يكن أحد يعرف ما هي القبلة ، ولم يكن يذكر اسم الله ، فلم تكد قدم شمس أهل الإسلام واليقين الشيخ معين الدين تصل إلى هذه البلاد إلا وتنورت البلاد بنور الإسلام ، وظهرت المنابر

www.abulhasanalinadwi.org

والمآذن ، وبنيت المساجد محل المعابد ، ومراكز إشعاع الفكر ، وعلت كلمة الله ، وأن كل مسلم وكل من يعتنق الإسلام وأولاده وأعقابه مدين لخدمات هذا العالم الرباني العظيم إلى يوم القيامة ، ويذهب أجره إلى شيخ الإسلام معين الدين حسن السجزي رحمه الله .

يتفق المؤرخون ورجال التراجم الذين عاصروا الشيخ معين الدين على تسخيره للقلوب وتوبة ألوف من الناس على يده ، ودخول المشركين والكفار في الإسلام ، وكانت كل جولة يقوم بها في أرجاء الهند تسفر عن اعتناق ألوف من المشركين للإسلام وإنابتهم إلى الله .

انتشر الإسلام ، وعمت الدعوة الإسلامية بجهود هذه الطبقة التي كانت تفضل أن تعطي ولا تأخذ ، وتحبب التعاليم الإسلامية إلى النفوس بعرض خصائص الشخصية الإسلامية والثقافة الإسلامية ، وتتصدى للتطورات السياسية ، والاضطرابات بحكمة ، وتتربص بالفلسفات والنظريات العقلية ، والمذاهب والتيارات التي كانت تتنافى مع روح الإسلام وجوهره .

موقف العلماء الربانيين أمام الحكام

لقد كان موقف العلماء الربانيين المخلصين في الهند

www.abulhasanalinadwi.org

موقفاً شائكاً أمام الحكام الذين كانوا حديثي العهد بالإسلام ، ولم تكن نشأتهم في الجو الإسلامي ، وكانوا يفضلون المصلحة السياسية على مصلحة الدعوة ، وكانوا يفتقرون إلى التربية الإسلامية فكانت مسئولية العلماء مزدوجة ، تربية الحكام ومنعهم من الاستبداد ، ومكافحة آثار الوثنية ، ومواجهة العلماء الذين كانوا يؤيدون كل ما يقوم به الحكام ، وإقامة قاعدة متينة للعلوم الإسلامية ، لإنتاج علماء وباحثين يقومون بتربية الأجيال القادمة .

آثر العلماء لذلك طريق التضحية ، و إنكار الذات ، والحب والعطف ، فأثمرت جهودهم ، وأحدثوا انقلاباً فكرياً واجتماعياً ، وصانوا الإسلام من أن يذوب أو يتقلص ظله ، وصانوا الدعوة الإسلامية من عمليات التحريف ، والاضطراب الفكري بالمنهج المتزن والوعي ، والالتزام بالحق ، فسارت الدعوة الإسلامية جنباً بجنب مع الحركة العلمية ، والنظم السياسية بتزامل وتضامن غير متعمد ، رغم وجود فوارق ، وحواجز طبيعية بين الفرق الثلاثة .

أقام المغول حكمهم في ٩٣٢هـ بعد أن هزموا أسرة السوريين ، وكانت لهم صولة ومنعة في البلاد في القرون

www.abulhasanalinadwi.org

الأخيرة ، وكانوا مدينين للحكام الإيرانيين ، لأنهم ساندوهم وأيدوهم في إقرار حكمهم ، فبدأ في عهدهم نفوذ علماء إيران ، وعمت الثقافة الإيرانية ، وكثر في عهدهم الاختلاط الثقافي والفكري والتسامح ، ونالت المذاهب العقلية ، والتيارات الفكرية الوافدة ، والثقافة الهندية المحلية القبول بتشجيع من الحكام ، ونشأ في عهدهم صراع فكري ، فاتخذ العلماء منهجاً جديداً في ضوء التطورات السياسية .

حركتان تلتقيان وتفترقان :

إن دراسة التاريخ في الهند تكشف عن وجود حركتين متوازيتين ، حركة تقودها طبقة الحكام والأمراء لإقرار النظام ، أو الحكم ، وحركة أخرى للدعوة الإسلامية يقودها العلماء الربانيون ، أما الحركة الأولى ، فكانت تسيطر على الأجساد ، وتحتل الأراضي ، وتوسع نفوذها وحدودها الجغرافية بينما كانت الحركة الثانية تسخر القلوب وتفتحها بالحب ، والإنسانية والمؤاساة ، والتعليم والتربية ، وتثقيف الأذهان ، ومكافحة الظلم .

أنشأ علماء الحق والدعاة لدعوتهم وتعليمهم نظاماً مستقلاً عن نظام الحكم ، متجنبين الصراع المكشوف

www.abulhasanalinadwi.org

للحكم ، إنهم مدوا يد التعاون والتزامل ، كلما تولى الحكم حكام عادلون ومقسطون ، ولم يخل تاريخ الهند من حكام عادلين أمثال السلطان المؤيد "محمود الغزنوي ، وشمس الدين ايلتمش ، وشير شاه السوري ، ومحي الدين أورنج زيب عالمكير الذين كانوا حماة الإسلام ودعاة إليه ، وفي عهدهم نجد النظامين يلتقيان ويتعاونان فيما بينهما .

وفي عهد احتلال الإنجليز تصدى العلماء أولاً للاحتلال ، وجاهدوا لمكافحة الاحتلال ، وبعد الهزيمة انصرف جل اهتمامهم إلى التعليم الإسلامي ، والتربية الإسلامية ، بوقاية الجيل الجديد من الغزو الثقافي والردة الفكرية ، كذلك كان موقفهم بعد الحرية عندما قامت حكومة ديموقراطية علمانية خاضعة لتأثير الأغلبية ، وقامت في البلاد حركات ومنظمات مناهضة للإسلام والمسلمين .

وخلاصة القول أن الدعوة الإسلامية في الهند لم تزل مرتبطة كلياً بالدعاة المخلصين الذين أنشأوا نظاماً خاصاً متطوراً للدعوة والتربية ، فإذا وجدوا معارضة من الحكم استغنوا عنه ، مكبين على طريقتهم مضحين في سبيلها بكل غال ونفيس ، وإذا وجدوا دعماً من الحكومة وتعاوناً استفادوا منه ، فكان همهم الأكبر التربية للمسلمين ، ولمن

www.abulhasanalinadwi.org

دخل في الإسلام حديثاً ، والعمل لتزكية النفوس ، وتطبيق تعاليم الإسلام ، واتباع الشريعة ، والاجتهاد لتأمين استمرار الدعوة ، وللتعليم والتزكية .

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل الأول

عناصر تربية العلماء وخصائصهم الذاتية

١- تسخير القلوب بالمحبة :

كان العلماء الربانيون لغلبة عنصر المحبة والتعفف ، والتورع من الدنيا يحملون تأثيراً على العقول في الشعب ، ورجال البلاط ، وكان هذا التأثير العميق الذي كان الربانيون يخلفونه بخلقهم سمة لهم لوحظت في جميع العصور باختلاف أقدار الناس ، والاستفادة ، وصلاحيتهم للقبول ، وقوة تأثير الربانيين وطريق إفادتهم ، وقد سبق ما كان الشيخ معين الدين السجزي يحمله من تأثير تسخير للقلوب ، وقد أدى هذا التأثير إلى شعبية هائلة كان يتمتع بها الربانيون في كثير من الأحيان ، فأثارت في قلوب السلاطين خوفاً على سلطانهم ، فروى المؤرخون أن السيد آدم البنوري وهو من رجال القرن الحادي عشر للهجرة ومن خلفاء الشيخ أحمد السرهندي ، كان يأكل على مائدته كل يوم ألف شخص ، ويمشي في ركابه ألوف من الرجال

www.abulhasanalinadwi.org

ومئات من العلماء ، ودخل في لاهور عام ١٠٥٣هـ ، وكان في معيته عشرة آلاف من الأشراف والمشايخ ، حتى توجس شاه جهان ملك الهند منه خيفة ، فأرسل إليه بمبلغ وقال له "قد فرض الله عليك الحج ، فعرف الشيخ إيعاز الملك ، وسافر إلى الحرمين الشريفين ، ولم يتعارض مع السلطان ، وقضى أيام حياته الأخيرة في المدينة المنورة ، وتوفي هناك .

وبايع الشيخ محمد معصوم بن الشيخ الكبير أحمد السرهندي ، وتاب على يده تسعمائة ألف رجل ، واستخلف في دعاء الخلق إلى الله وإرشاد الناس وتربيتهم الدينية سبعة آلاف من الرجال .

أقام المصلح الكبير للقرن الثالث عشر ، الشيخ الإمام أحمد بن عرفان الشهيد في كلكتا مع أصحابه من العلماء كالمصلح الكبير الشيخ إسماعيل الشهيد للوعظ والتذكير ، وتقاطر الناس على السيد للبيعة والتوبة عن المعاصي ، فذكر المؤرخون أن تأثير هذه المواعظ ودخول الناس في الدين وانقيادهم للشرع أدى إلى تعطل تجارة الخمر في كلكتا ، وهي كبرى مدن الهند ، وهي في المناطق الهندية الأولى التي خضعت للغزو الثقافي الإنجليزي ، وأقام بها الإنجليز مؤسساتهم ، وأنشأوا فيها معاهد التعليم

www.abulhasanalinadwi.org

والتربية الثقافية ، وكسدت سوقها وأفقرت حاناتها ، واعتذر الخمارون عن دفع ضرائب الحكومة متعللين بكساد السوق .

كان يتوب على يد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد مئات من الشطار وقطاع الطريق والفجرة ، والأمراء المستبدون كلما زار منطقة ، وكان يخلف آثاراً تبقى سنين عديدة في المنطقة .

٢- اتباع الشريعة والتزامها والتمسك بالسنة النبوية

والعنصر الثاني من عناصر التأثير لأصحاب هذه الحركات التي غيرت مجرى التاريخ ، هو التمسك في الحياة الشخصية والجماعية بالسنة النبوية كلياً ، فكانوا لا يتسامحون مع أي عمل يتنافى مع السنة الشريفة ، وننقل في هذا الصدد ما كتبه مجدد الألف الثاني ، الشيخ الكبير أحمد السرهندي الذي تنتهي إليه السلسلة التعليمية والتربوية الإسلامية المتبعة في الوقت الحاضر ، والذي أحدث انقلاباً فكرياً وسياسياً في الهند بالتأثير على حكام عصره وعلماء زمانه .

"إن لب طريقة المشايخ النقشبنديين أن يكون الإنسان متمسكاً بعقائد أهل السنة والجماعة ، ومتبعاً لسنة

www.abulhasanalinadwi.org

الرسول صلى الله عليه وسلم، ومتجنباً للبدع والأهواء، وأن يكون عاملاً بقدر استطاعته بالعظيمة محترزاً عن الرخصة".

وقال في رسالة بعث بها إلى الشيخ محمد هاشم:

"إن صلاح وتفوق هذه الطريقة وعلو شأنها وشأن مشايخها يرجع إلى سببين اثنين، اتباع السنة النبوية والتزامها واجتناب البدع".

وكتب في إحدى رسائله: "اعلم أن الشريعة متكفلة لجميع السعادات ـ الدنيوية والأخروية ـ ولا يوجد مطلب يحتاج في تحصيله إلى غير الشريعة، أما الطريقة و الحقية فهما خادمان للشريعة وتحصيلهما لتكميل الشريعة لا غير".

وقال الشيخ نظام الدين وهو من مشايخ القرن الثامن للهجرة: "لا بد من التمسك بالشريعة الإسلامية، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم بثبات ودقة، وأن لا يترك أي عمل من سنته سواءاً كان مستحباً أم كان من الآداب، وقال عن المشايخ وصفاتهم:

لابد أن يكون الشيخ عالماً بحقيقة أمور الشريعة الإسلامية، والطريقة الصوفية الصافية، فإنه بذلك سيتجنب من أن يقول أو يأمر بشيء يتنافى مع الشرع

www.abulhasanalinadwi.org

المتين*.

كان الشيخ نظام الدين يواظب على الصلاة بالجماعة ، وقد تجاوزت سنه ثمانين سنة وأنهكه المرض ، فكان ينزل إلى المسجد ، ويكثر من الصوم في آخر عمره .[١]

وكان يؤكد لأتباعه ويحثهم على اتباع الشريعة ، والاقتداء بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وكان يقول :

"لا بد من تعليم الدين والتفقه فيه لتجنب كل عمل يتنافى مع روح الدين ، وتعليم الشرع المتين ، لأن اتباع الدين لا يتيسر إلا بمعرفة الأوامر والنواهي".

وقال الشيخ نظام الدين مرة:إن ترك الدنيا لا يعني أن يتعرى الإنسان ويتجرد عن لوازم الحياة ، وإنما يعني أن ينتفع الإنسان ، ويستفيد بكل ما تيسر له ، لكن لا يشقى من أجل الحصول على ما لا يتوفر لديه ، ولا يورط قلبه فيه ، ويشغل باله به ، وذلك هو ترك الدنيا حقيقة ".

وسأل أحد مسترشدي الشيخ نظام الدين ، الشيخ السيد نصير الدين المعروف بجراغ دلهي ، أن يسمح له

---

[١] سير الأولياء.

www.abulhasanalinadwi.org

شيخه بالانقطاع عن الخلق ، والتركيز على العبادة ، وتربية النفس ، و رغب عن الاختلاط بالناس ، فقال له الشيخ نظام الدين :

"لازم خلق الله ، واحتمل ما يصدر منهم من الأذى والمكروه وسوء المعاملة ، وأجزهم إحساناً وكرماً وإيثاراً ومواساة".

كان الشيخ بدر الدين السمرقندي الذي وضع مبادئ الطريقة الفردوسية في الهند يحث على تعلم الدين والتفقه فيه، والعمل به ، والإخلاص فيه ، وكان يقول: "لا ينفع العلم إلا بالعمل ، ولا ينفع العمل إلا بالإخلاص وحسن النية" وكان يحث على أن لا يشغل السالكون أنفسهم بالبحث عن الكرامات والحديث فيها ، وقال مرة : أخلص الكرامات وأحقها بالاتباع الاستقامة في العمل .

وفي الرسائل التي بعث بها هؤلاء المربون ما يدل على اهتمامهم بجانب التمسك بالشريعة الإسلامية ، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتخلق بأخلاقه والاقتداء بسيرته الشريفة .

قال الشيخ شرف الدين يحيى المنيري ، وهو من رجال القرن السابع للهجرة في إحدى رسائله :

www.abulhasanalinadwi.org

إن الأخلاق الحسنة التي يجب اتباعها هي أخلاق العلماء الذين يتبعون الشريعة ، ويقيسون حياتهم وأعمالهم بمقياس السنة الشريفة ، وكل من لا يجعل الشريعة مقياساً لعمله ، لا يستطيع أن يستفيد من طريقة الصوفية .

وكتب في رسالة أخرى :

كلما ازداد الإنسان في التمسك بالشريعة و رسخ فيها سمت أخلاقه ، وكلما اتصف الإنسان بالأخلاق الجميلة تقرب إلى الله ، وقال :

"خير الأخلاق وجوهرها اتباع الأوامر والنواهي ، وطاعة الله وطاعة رسوله ، واتباع شريعته ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة في الأخلاق والأعمال للجميع ، فمن أحب الله ورسوله وادعى أنه يتبعه ، ينبغي أن يقضي حياته مقتدياً به".

كان سائر الربانيين يوازنون الحياة والورع باتباع الشريعة ، ويعتبرونها أساساً ، ومنطلقاً ، ولا يسمحون لأتباعهم بالانحراف عنه قيد شعرة .

كتب الشيخ يحي المنيري في إحدى رسائله :

قال الله تعالى :﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم**

www.abulhasanalinadwi.org

الله ﴾ إن هذه الآية الكريمة تدل على أن الحب الحقيقي هو اتباع الرسول ، وإن الذين أضلهم جهلهم واتباعهم للهوى فاتبعوا طرقاً غير طريق الرسول صلى الله عليه وسلم ، اتبعوا أهواءهم ، وخسروا في حياتهم ، فلا يهتدي أحد في طريقه إلا إذا كان له دليل مهتد ، ويقتدي بمن رشد واهتدى .

كان الشيخ جلال الدين البخاري(٨٠٧هـ) من كبار رجال التربية ، وكبار رجال التزكية والدعوة الإسلامية ، وقد عرف بشدة تمسكه بالشريعة والآداب الإسلامية ، والتزامه لها واحترازه عن الرخصة حتى في آخر أيام حياته ، وحالة مرضه ، وكان شغوفاً باتباع السنة ، وكان يقول: لا يستطيع أحد مهما ارتقى في الكشوف والكرامات ، وصفاء النفس أن يهتدي إلا بالتزامه المتواصل للسنة ، والشريعة ، وكان يقول: "من تهاون في اتباع السنة فاتته الحقيقة"، وقال مرة : "إذا أدرك أحد برياضة النفس والمجاهدات الطريقة لكنه جهل الشريعة فهو جاهل ولا يحق له أن يقوم بتربية الآخرين" .

ولاهتمامه باتباع السنة كان الشيخ جلال الدين يلزم دراسة السيرة النبوية الشريفة ، والحديث النبوي

www.abulhasanalinadwi.org

الشريف ، وكان يكثر في مجالسه من الاقتباس من الحديث النبوي الشريف ، ويشرح ويلقن أصحابه بأن يعملوا بما جاء في الحديث الشريف ، وكان يرغب أتباعه في الاقتداء بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم في الحياة اليومية ، وكان يتمسك بما ورد في الشمائل النبوية من الصلاة ، والصوم ، والآداب ، والأخلاق ، حتى في القيام والجلوس ، وعدد الركعات في الصلاة ، وقد وردت في كتب التاريخ عجائب عن شغفه بالسنة الشريفة ، واستلذاذه بها ، و رويت عنه كرامات كثيرة ، حتى عرف بمظهر العجائب ومصدر الغرائب ، لكنه كان لا يعبأ بها ، بل يستهين بها ، ويقول: إن الولي يستطيع أن يطير في الفضاء ، ويمشي على سطح الماء ، وتضيق له المسافات ، ولكنه لا يستطيع أن يكون ولياً حقيقياً من أولياء الله إلا إذا كان متبعاً حقيقياً في القول ، والعمل ، والأخلاق ، ومطيعاً كاملاً لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد بلغ الشغف بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم حرصاً على اتباعه والاقتداء بسنته ، ببعض رجال التربية ، مثل الشيخ يحي المنيري أنه طلب في آخر حياته من عواده بقراءة الحديث الشريف ، فقال: "أ ليس هنا من يقرأ

www.abulhasanalinadwi.org

الحديث الشريف حتى ألفظ نفسي الأخير فإن الحديث يشنف أذني .

ومما يدل على المحافظة الدقيقة على السنة أنه كان في مرض وفاته ورأى الناس أن يغيروا سرواله فأراد بعضهم نزع السروال من اليمين ، فقبض رجله اليمنى ، و مد رجله اليسرى حرصاً على اتباع السنة والالتزام بها حتى في هذا الوقت العصيب .

وقد بلغ حرص الشيخ أحمد السرهندي المعروف بمجدد الألف الثاني على اتباع الشريعة ، والاهتمام بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول وعمل وأدب ، أنه كان ينفر عن البدعة الحسنة ، وقد كتب في إحدى رسائله :

"ما لم يحترز الإنسان عن البدعة الحسنة كما يحترز عن البدعة السيئة لا يستطيع أن يشم رائحة الإيمان ، وحلاوته ، وقد كثرت البدع هذه الأيام ، وامتد ظلامها ، ولا ينبري أحد لمكافحتها ، وإحياء السنة المطهرة ، وقد انغمس العلماء فيها ، وهم أنفسهم يمحون آثار السنن ، ويفتون بجواز الأعمال والطقوس التي عمت في الناس ، لأنها صارت عندهم في حكم التعامل ، ولا يعلمون أن التعامل

www.abulhasanalinadwi.org

ليس في ذاته مستحسناً ، وإنما يجوز ما تقبله الشريعة ، وكان عليه إجماع الأمة".

كان الشيخ علم الله الحسني الرائي بريلوي من كبار مشايخ عصره ، ومن مسترشدي الشيخ آدم البنوري ، وقد شهد معاصروه بأنه كان جامعاً للعلم والعمل ، وكان في غاية من التورع ، والتمسك بالسنة ، كان لا يحتمل صدور أي عدول عن أوامر الشريعة ، أو تهاون فيها من أهل بيته ، ومن له صلة به ، فكان ينكره بدون محاباة أو رفق ، وكان في سائر أعماله متبعاً للسنة ، وصار ذلك له طبيعة وغذاء روحياً ، وكان رغم اشتغاله بالذكر ، والعبادة ، وتربية الناس ، وتعليمهم ، يخدم الناس ، ويبدأ بالسلام على الصغار ، ويجلب الماء ، وينظف البيت ، ويخرج إلى السوق لشراء الحاجيات لأهله ، وجيرانه ، ويحتطب ، ويتحمل المكروه ، ويخدم غيره ، ولا يستخدم أحداً .

كان الشيخ فضل الرحمن الكنج مرادآبادي (١٢٠٨-١٣١٣هـ) وهو من المشايخ المتأخرين معروفاً باتباع السنة اتباعاً شديداً ، وبالتمسك بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وشمائله في سائر أعماله ، وكان شغوفاً بتلاوة القرآن الكريم ، وقراءة الحديث الشريف ، وكان له اهتمام زائد

www.abulhasanalinadwi.org

وغرام بالحديث لا يعدل به بعد القرآن شيئاً .

وكان إذا قرأ الحديث ترنحت أعطافه ، وفاض خاطره وكان كبير الإعجاب بالجامع الصحيح بصفة خاصة [١].

٣– أسوة في الحياة الخاصة والعامة

كان الحرص الشديد على اتباع الشريعة ، والغرام بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، والحرص على التخلق بأخلاقه ، والاقتداء بشيمه وشمائله ، والالتزام بأوامره ونواهيه ، حتى في المستحبات والمرغوبات والآداب ، والسلوك العام ، سمة العلماء والمربين في الهند ، وكان يتساوى فيه جميع رجال التربية في الهند ، ولم يخل عهد من العهود من أمثال هؤلاء المربين المتمسكين بالشريعة ، وكان هذا الحرص والالتزام الشديد بالشريعة ، والسنة ، عنصراً أكبر في الاحتفاظ بأصالة الإسلام ، والشخصية الإسلامية ، وكان عامل بقاء الثقافة الإسلامية ، وصمودها في وجه التحديات ، وكان وقاية من الذوبان في مصهر الثقافة الهندية غير الإسلامية رغم كون المسلمين في أقلية تحيط بهم أغلبية ساحقة متزمتة بعقيدتها ، وثقافتها ، وفكرها ،

[١] ربانية لا رهبانية للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي.

www.abulhasanalinadwi.org

وحضارتها ، والتراث العلمي الزاخر الذي كان له دور وتأثير عظيم في ثقافات الأمم .

فلو لم يكن هذا التمسك الشديد والتشبث بأهداب الدين ، واتباع السنة ، حتى في الفروع الذي يلاحظ في سائر عصور التاريخ في الهند متواصلاً ، متناقلاً من جيل إلى جيل ، لما بقيت الشخصية الإسلامية ، ولما صمدت في وجه أعاصير الانقلابات ، والحركات الثقافية والعقائدية ، ولدخلت فيها عناصر التحريف ، واستسلمت لضغوط التيارات التي جرت باسم الإصلاح والتجديد في مختلف العصور ، ولفقدت الشخصية الإسلامية كثيراً من ملامحها ، ومزاياها .

كان هؤلاء المربون الذين نشروا الإسلام ، وقاموا بتربية سائر طبقات الناس ، ومن بينهم أصحاب المهن والحرف ، ورجال البلاط ، وكذلك المذنبون التائبون ، والمجرمون ، كانوا قدوة وأسوة ، في المأكل ، والمشرب ، وفي المعيشة ، وفي السلوك مع الناس والأخلاق ، وكانوا نماذج متنقلة ، ومدارس يتعلم منهم الناس نمط الحياة الإسلامية ، أعمالهم وحياتهم ، وسلوكهم كان تطبيقاً للتعاليم الإسلامية ، والآداب الإسلامية ، وبفضل هذا الالتزام

www.abulhasanalinadwi.org

الشديد احتفظ الإسلام في الهند بتأثيره ونفوذه ، وبفضل هذا الالتزام بالسنة وبركته كان رجال التربية يتمتعون بقوة استمالة القلوب وسحر النفوس .

كان هذا التمسك بالصبغة الإسلامية الأصيلة يهيمن على الحياة الفردية ، والجماعية ، فالتزم المسلمون الذين كانوا خاضعين لتأثير هؤلاء العلماء المتحفظين ، وكانوا يضمرون لهم الولاء ، والحب بالثقافة الإسلامية الأصيلة ، وهي الثقافة التي تستمد جذورها من الثقافة العربية التي تكونت في القرون الأولى ، وسيطرت على سائر جوانب الحياة من العادات والتقاليد ، والملابس ، وتأثيث المنزل ، و فن البناء ، و المأكل والمشرب ، والمعاملات ، حتى المشاعر ، والاتجاهات الأدبية والفكرية التي تخضع طبعاً للحياة الاجتماعية ، والعقيدة الأساسية .

www.abulhasanalinadwi.org

٤- العلم والتفقه في الدين :

كان العلم الحقيقي ، و التفقه في الدين ، والعمل به ، والإخلاص في العمل عنصراً آخر من عناصر الدعوة والاسترشاد في الهند في سائر العصور ، وقد كان العلماء الربانيون مهتمين أشد الاهتمام بهذه الناحية ، فكانوا لا يسندون مهمة التربية إلا إلى من تفقه في الدين .

وقد كان الشيخ نظام الدين متشدداً في ذلك ، فقد اتصل به شاب ذو ملكة وصلاحية عرف فيما بعد بسراج الدين ، وكان قد أتى من لكهنوتي لتعلم الطريقة ، وبايع الشيخ نظام الدين ، فقال للشيخ فخر الدين زرادي : إن هذا الشاب يملك صلاحية كبيرة ، وتلوح على محياه آثار النبوغ ، لو كان يملك من العلم الظاهر والباطن ، فعلمه الشيخ زرادي مدة ، حتى فاق في جميع العلوم ، ثم رجع إلى الوطن ، ونشر العلم الديني ، و أرشد الناس في الشرق وفي بنغال .

كان الشيخ حميد الدين الناجوري عالماً محدثاً كبيراً ، وكان يفضل تعليم الحديث على تعليم التصوف .

كان الشيخ بير محمد اللكهنوي من المشايخ المشهورين بالفضل والكمال ، واشتغل بالعلم على

www.abulhasanalinadwi.org

أساتذته ، وكان يدرس ويفيد ، أخذ عنه خلق كبير من العلماء ، انتهت إليه رئاسة العلم والتدريس ، له مصنفات جليلة منها حاشية شرح الهداية ، والفتاوى الفقهية ، وغير ذلك .

اشتغل الشيخ عبد الأحد السرهندي أحد المشايخ الربانيين بالعلم أياما ، ثم سافر إلى كنكوه ، وأدرك بها الشيخ عبد القدوس الكنكوهي أكبر مشايخ عصره ، وأراد أن ينضم إلى مسترشديه فأبى الشيخ ، وأمره بتكميل العلوم المتعارفة ، فعاد إلى سرهند ، وجد في البحث والدراسة ، حتى برع في العلم ، و تأهل للفتوى والتدريس ، ومات الشيخ المذكور قبل تكميله ، فسافر إلى أقطار الهند ، و أدرك كثيرا من المشايخ ، واستفاد منهم ، ثم دخل كنكوه ، ولازم الشيخ ركن الدين بن الشيخ عبد القدوس الكنكوهي مدة طويلة ، فاستخلفه الشيخ ، كان يدرس في العلوم كلها من المنقول والمعقول ، وله مهارة تامة في جميع الفنون .

www.abulhasanalinadwi.org

٥- اهتمام الربانيين بتربية الحكام وحثهم على الدعوة والجهاد

إن التربية في الهند كانت مقترنة بالعلم والتفقه في الدين ، والأخلاق الإسلامية ، والابتعاد عن المصالح المادية ، ولكن رجال التربية لم يكونوا منقطعين عن تربية الخاصة ، والحكام والأمراء ، وخوض معارك الحياة ، والاشتراك العملي في الجهاد .

وإن تاريخ الهند الإسلامية حافل بأسماء ومآثر علماء ربانيين ، كانوا رواد العلم والتربية ، والنصح للمسلمين عامة ، وإرشاد أولى الأمر ، ونصحهم ، وقول كلمة الحق ، والذين تحملوا في ذلك شتى أنواع المكاره ، والشدائد ، فجمعوا بذلك رعاية العلم ، والتربية ، وتزكية النفس ، والإشراف على الحكم ، وإن موقف الإمام أحمد السرهندي مع سلاطين عصره كالإمبراطور أكبر وخلفه جهانجير معروف ، وتدل رسائله التي بعث بها إلى أمراء البلاط وأصحاب النفوذ في عصره على اهتمامه بإصلاح أحوالهم وتربيتهم تربية دينية ، و كانت أسرة الشيخ ولي الله الدهلوي آخر نموذج لهذا الجمع بين الجوانب الثلاثة للحياة الإسلامية ، ولا يخلو من ذكر مآثرها تاريخ علمي ولا سياسي ، ولا ديني للهند ، وكانت هذه الأسرة رائدة كل

www.abulhasanalinadwi.org

نشاط علمي وسياسي وتربوي في الهند في العهد الأخير من الحكم الإسلامي ، وتركت آثاراً خالدة ، وأنجبت جيلاً من العلماء الذين تولوا قيادة النشاطات الإسلامية في الهند ، وخدمات خريجي هذه المدرسة وتلامذتهم ، خالدة في تاريخ الإسلام في الهند .

مراقبة الحكام عن كثب وتسديد خطاهم وإرشادهم وعدم الانتفاع بهم مادياً :

إن هناك سوء فهم عن المشايخ ورجال التربية والسلوك من علماء الهند ، أنهم كانوا يفضلون حياة الانعزال وترك الدنيا لأهلها ، فتحصل الحكومات القائمة على حرية التصرف فيملؤون الدنيا بطشاً وظلماً وعدواناً ، ولا شك في أن علماء الهند كانوا يبتعدون عن المناصب والاتصال المباشر بأولي الأمر ، ولكن كان لهم دائماً اتصال برجال الحكم بصورة أنهم كانوا يزهدون عن صحبة الملوك ، لكنهم كانوا يصرفون عنايتهم إلى تربية أفراد المجتمع بجميع طبقاته مسلماً كان أو كافراً ، وفي الوقت نفسه كانوا يراقبون مراقبة دقيقة على مجريات الأمور ، وينتهزون كل فرصة لتربية الأمراء ، ومن كان له اتصال بالبلاط ورجال حاشية السلطان ، فقد ذكرت كتب التاريخ

www.abulhasanalinadwi.org

عدة طرائف في هذا الصدد نذكر بعض نماذجها .

فيروز شاه تغلق والشيخ نصير الدين جراغ دهلي :

كان فيروز شاه تغلق ملكاً عادلاً محبباً ، وعمت الرفاهية والرخاء في عهده ، وكان يحب العلماء ، ويقيم الشرع ، وكان في اختياره وتنصيبه يد للشيخ نصير الدين "جراغ دهلي"، كما ذكر صاحب تاريخ فرشته .

توفي السلطان محمد تغلق ، وكان قد استصحب الشيخ نصير الدين جراغ دهلي في عملية عسكرية كعادته، فأرسل الشيخ رسالة إلى فيروز شاه تغلق الذي كان متردداً عن تولى الحكم وسأله "هل تعدني أن تكون عادلاً منصفاً مع هذا الخلق ، وإلا فأسأل الله ملكاً آخر، فأجاب فيروز شاه: سأكون حاكماً عادلاً حليماً مع الخلق" فقال الشيخ: دعوت الله دعوة مستجابة أن تعيش وتحكم أربعين سنة" ويشهد التاريخ أن السلطان فيروز شاه حكم بالفعل أربعين عاماً .

ولى السلطان محمد شاه بهمني (٧٥٩- ٨٧٦هـ) الحكم في دكن ، وبايعه سائر العلماء ، لكن الشيخ "زين الدين" (٨٠١هـ) خليفة الشيخ برهان الدين غريب رفض البيعة ، لأن الملك الجديد كان يشرب الخمر ، ويرتكب المحرمات ، و أصر السلطان على البيعة ، ولما رفض الشيخ ،

www.abulhasanalinadwi.org

أمره بالخروج من البلاد ، فأخذ سجادته ، وخرج من داره إلى مكان مقفر ، وقام يصلي وقال :

"فليخرجني من هنا إذا كان له حول وطول" فاستحى الملك ، وكتب إليه يلاطفه ويبدي حبه له ، فأجاب الشيخ زين الدين ، إذا وعد السلطان محمد الغازي حماية طريق الشريعة وترويجها ، وإبادة الخمارات من المملكة ، ولا يشرب الخمر أمام الناس ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويبذل جهده فيه ، كان زين الدين أكبر محبيه .

سر السلطان بلقب الغازي ، وأمر بأن يضاف إلى ألقابه ، وأعلن بإغلاق الخمارات ، وتغيرت حياته ، وصرف وقته في نشر الإسلام والدعوة إليه ، وطهر البلاد من قطاع الطرق ، ومنع المحرمات والجرائم الخلقية .

كان الشيخ الإمام العالم الكبير المحدث علي بن حسام الدين المتقي البرهانبوري من مسترشدي الشيخ بهاء الدين الصوفي البرهانبوري ، وتوفي الشيخ المذكور في حياته ، فلازم صحبة الشيخ حسام الدين المتقي الملتاني ، وقرأ عليه ، ثم سافر إلى الحرمين الشريفين ، ووفد إلى الهند في أيام محمود شاه الصغير الكجراتي ، وكان من أتباعه ،

www.abulhasanalinadwi.org

وعاد إلى مكة المكرمة ، وقد قضى محمود شاه له كل حاجة ، وكان الشيخ متورعا كريما ، وكان يعين على الوقت كل من سأله ، ونما خبره إلى السلطان سليمان بن سليم بايزيد ، فكتب إليه يلتمس منه الدعاء له ، وكان يواصله مدة حياته ، ثم دخل الشيخ الهند ثانيا ، واجتمع بمحمود شاه وقال له : هل تعلم لم جئت ؟ فقال و ما يدريني ، فقال الشيخ : سنح لي أن أزن أحكامك بميزان الشريعة ، فلا أترك إلا ما يوافقها ، فشكر السلطان وأجابه بالقبول ، وأمر الوزراء بمراجعته في سائر الأمور ، ونظر الشيخ في الأعمال والسوانح أياما ، واجتهد في الأحكام ، فأمضى ما لم يتعارض مع الشريعة ، و أوقف ما لم يطابقها ، وهاجر إلى مكة المكرمة بعد مدة ، ولكنه ظل على صلة بالسلطان محمود ، حريصا على تربيته .

الحكام والسلاطين الذين نشأوا في تربية الربانيين

من السلاطين الهنود الذين سجلوا صفحات رائعة ، وجمعوا بين الدين والدولة نتيجة لتربية العلماء الربانيين ، ورعايتهم ، شير شاه السوري (٩٥٢م) الذي كان ملكا عادلا خيرا لم يكن له نظير في تدين الحكام وحبهم للعلم والعلماء ، وإقرار الأمن والنظام والتفتيش ، ولا

www.abulhasanalinadwi.org

تزال آثاره تلمس في الهند ، وكان محباً للأعمال الخيرية ورفاهية الشعب ، وكان السلطان شمس الدين التمش (٦٣٣هـ) ملكاً عادلاً صالحاً فاضلاً ، ومن مآثره أنه اشتد في رد المظالم ، وإنصاف المظلومين ، وأمر بأن يلبس كل مظلوم ثوباً مصبوغاً ، فإذا رأى في مجلسه رجلاً في ثوب مصبوغ نظر في قضيته ، و وضع للمظلومين جرساً ليحركوه في الليل ، وكان يستشير في أمور المملكة الشيخ قطب الدين المدني ، وكان غياث الدين بلبن ملكاً عادلاً معروفاً بالعلم ، وإكرام العلماء والمشايخ ، وكان الملك ناصر الدين ايلتمش (٦٦٤هـ) يكتب القرآن الكريم بيده ، ويقتات بثمنه ، وسألته زوجته أن يعطيها جارية تكفي مؤنتها في طبخ الطعام فأبى ، وكان ورعاً متعبداً ، ومنهم السلطان محمود ابن محمد الكجراتي الذي حكم خمساً وخمسين سنة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وكان يقيم العدل ، وينصر المظلوم ، ويقيم الشريعة ، و يعمر البلاد ، ويؤسس المساجد والمدارس ، ويوسع الزراعة ، وينشئ الحدائق ، ويروج الصنائع ، وقد وفد عليه العلامة جلال الدين محمد بن المالكي ، فأدناه وقربه إليه ، وولاه على ولاية الجزية في سائر بلاده ، ووفد عليه العلامة مجد الدين الأيجي ، فولاه

www.abulhasanalinadwi.org

على تعليم ابنه مظفر شاه، وكان غاية في العفة والحياء، حسن الأخلاق، عظيم الهمة.

كانت نتيجة تربية العلماء الربانيين أن السلطان مظفر الحليم الكجراتي بن السلطان محمود الكجراتي، نشأ محدثاً وفقيهاً، وسلطاناً عادلاً، فعرف بصاحب الرياستين، قرأ على مجد الدين محمد بن محمد الأيجي، وغيره من العلماء، وأخذ الحديث، وتدرب في الفنون والأدب، وقام بأعمال الملك بعد والده، حكم بالعدل، والنجدة، والجهاد، وسد الثغور، وأكرم العلماء، وكان غاية في التقوى والعزيمة، والتسامح عن الناس، فلقب بالسلطان الحليم، وكان يقتفي آثار السنة السنية، في قول وعمل، ويعمل بنصوص الأحاديث النبوية، وكان يكرم العلماء، ويبالغ في تعظيمهم.

وقد كان من مآثره ونوادر أفعاله أن أحد الأمراء الهنادك مندلي رائي، تغلب على بلاد المسلمين في "مالوه"، فضيق على المسلمين، وخرج محمود شاه الخلجي صاحب "مالوه" من بلاده هارباً، فنهض السلطان مظفر الحليم من بلاده إلى "مالوه"، بعسكره لنصرة المسلمين، وانتصر في الحرب التي جرت بينه وبين مندلي رائي، واستولى

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمون على البلاد ، وأبلى في الحرب جيش السلطان مظفر الحليم بلاءاً حسناً ، فلما انتصرت قواته ، وتسلم زمام الأمور ، سلمها إلى السلطان محمود الذي كان قد هرب من بلاده ، وقال له : لقد خطوت هذه الخطوة لله تعالى ، ثم لنصرتك ، وقد نلتها ، فالله يبارك لك فيه ، ويعينك عليه ، وعاد إلى بلاده بدون أن يأخذ شيئاً من الغنيمة ، أو من أموال البلاد المفتوحة .

وبتأثير خلفاء الإمام السرهندي اتخذ الحكام الذين جاءوا بعد أكبر إجراءات قانونية لاحترام التعاليم الإسلامية ، وتنفيذها ، وبدأت هذه الإصلاحات في عهد جهانجير ، وازدادت في عهد شاهجهان ، فيقول المؤرخون : إن السلطان شاهجهان قام بإحياء العقائد الإسلامية بقوة ، و رفع سجدة التحية ، و أوقف التقويم الإلهي الذي بدأه جده أكبر ، ووظف القضاة والمعلمين ، وقد اتصل الإمبراطور عالمكير بالشيخ محمد معصوم بن الإمام السرهندي بيعة ، وكان الشيخ علم الله الحسني الذي يضرب به المثل في اتباع السنة ، والتورع ، من أقرب رجال حاشية الملك عالمكير ، وموضع ثقته ، عرض عالمكير بن شاهجهان ملك الهند على السيد علم الله الحسني أقطاعاً

www.abulhasanalinadwi.org

من الأرض فلم يقبل ، واستأثر الفقر والفاقة ، ثم اعتزل الشيخ عن خدمة الملك ، وقضى حياته في رائي بريلي ، وتوفى رحمه الله ١٠٩٦هـ .

قال الشيخ غلام علي العلوي الدهلوي :"إن عالمكير بن شاهجهان رأى في المنام في الليلة التي توفي فيها الشيخ علم الله الحسني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي ، فعرضه على العلماء وسألهم تأويله ، فأولوه بأنه توفي في تلك الليلة من كان له نسبة صحيحة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وقدم راسخة في اتباعه ، ثم أخبر بأن السيد علم الله توفي في تلك الليلة ، فأجمع العلماء والمشايخ على أنه هو المعبر عنه بذلك المنام "[1].

وقصة الشيخ غلام علي معروفة أنه كان يأكل على مائدته أكثر من سبعمائة شخص ، وكان مرجع المسترشدين من العجم والعرب ، وكان فيهم الشيخ خالد الرومي الذي نشر السلسلة المجددية في بلاد العرب ، واستمرت صلة العلماء الربانيين بالبلاط ، ورجاله ، والأمراء بدون أن يقبل هؤلاء العلماء أي أجر أو معونة من الحكام .

[1] الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ، ج/ ٥

www.abulhasanalinadwi.org

أما مآثر السلطان أورنج زيب عالمكير ، و صلته بالعلماء ، و تورعه ، و عدله ، وتقواه ، فهي معروفة ، حتى عدّه بعض المؤرخين العرب الخليفة الراشد السادس .

وأمثال هؤلاء الحكام ، والسلاطين الذين حكموا بالعدل ، ونشروا الإسلام ، وسدوا الثغور تحت رعاية العلماء الربانيين كثيرة وفيهم وزراء وأمراء وقادة الجيش الذين نشأوا في تربية العلماء ، وجمعوا بين الدين والدولة بفضل رعايتهم .

اتجهت عناية العلماء الربانيين إلى إصلاح الملوك والأمراء ، وإبلاغهم كلمة الحق ، والسهر على وقاية الإسلام من النزعات والطقوس والعادات الغريبة لطبيعته والمعارضة لمصلحة الشريعة السمحة ، وفتنة الضالين المضلين ، وآثار علماء السوء ، ومنع المسلمين وعلمائهم من الانغماس في المسائل الفرعية التي تثير الفتن والخلافات بينهم بصورة عامة ، و ربط صلتهم بالجماهير بتأليف قلوبهم ، وإرشادهم إلى طرق الخير والصلاح ، ونبغ فيهم دعاة إلى الله ومصلحون ربانيون كانوا أسوة حسنة وقدوة صالحة ، تاب على يدهم ألوف من المسلمين ، واهتدى مئات الآلاف من غير المسلمين ، وصلحت حياة

www.abulhasanalinadwi.org

الأمراء والسلاطين بمواعظهم ، وإرشادهم ، ولكل واحد منهم منهج وأسلوب للدعوة والإصلاح حسب طبيعته ، ونشأته ، وتأثير في عصره وجيله ، ولكن نبغت فيهم ثلاث شخصيات لها مناهج خاصة ، فاقت المناهج الأخرى ، وكان لها تأثير خارق للأجيال والعصور ، و تشكل كل واحدة منها مدرسة خاصة .

وجد الشيخ الكبير أحمد السرهندي أخطر عهد من عهود الحكم الإسلامي ، وهو عهد الإمبراطور المغولي أكبر ابن همايون الذي كان فارساً شجاعاً ومغواراً ، لكنه كان أمياً ، وقد أحاط به علماء السوء والحاشية الضالة والعناصر الوثنية .

فقام الشيخ بالخدمات الجليلة في إحياء الشريعة الإسلامية ، وإعادة الحياة إلى مجراها الإسلامي ، واتخذ طريقاً خاصاً لإعلاء كلمة الحق ، فتصدى للعلماء الضالين والأمراء وأصحاب النفوذ المنحرفين في وقت واحد ، واختار له طريق المراسلة ، ومخاطبة النفوس ، وإيصال دعوته إلى الأمراء ، وسجن من أجله ، لكنه انتصر على قوى الظلم ، وأنقذ البلاد من التحول إلى حكم هندوكي ، ودحض دعوة أكبر و دينه الباطل بجهوده وتربيته لأمرائه ،

www.abulhasanalinadwi.org

وعلاقته مع رجل البلاط وتربيتهم سراً ، وظهرت آثار دعوته في عهد جهانكير ، وكان عالمكير (١١١٨هـ) ثمرة الشجرة التي كان غرسها ، ونتيجة لمساعيه وخلفائه ، فكان حاكماً عادلاً ، وصفه العلماء بمحيي الدين والسنة ، وهو الذي دونت في عهده الفتاوى المعروفة بالفتاوى العالمكيرية التي اشترك هو بنفسه في تدوينها .

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل الثاني

المناهج الرئيسية

-١-

الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي

واجه الشيخ أحمد السرهندي (٩٧١-١٠٣٤هـ الموافق ١٥٦٣-١٦٢٤م) أكبر فتنة، في تاريخ الهند الإسلامية التي نشأت بانحراف الإمبراطور أكبر، وعدائه السافر للإسلام ومخالفته، واختلاقه ديناً جديداً كان طوراً جديداً للدين الهندوكي، لإرضاء الأميرات الهندوكيات، بتأثير علماء السوء، وقد قضى الشيخ السرهندي شبابه في آخر عهد الإمبراطور أكبر في السجن على قول كلمة الحق، ومعارضته لسياسة الإلحاد؛ واحتمل الأذى، فلما توفي أكبر، وخلفه جهانكير في عام ١٠١٤هـ، وكان أقل شراسة وتصلباً من والده أكبر، ولم يكن متوحشاً، ولا حاقداً للإسلام مثلما كان والده، بل كان متساهلاً متنعماً كالملوك الآخرين، اغتنم الشيخ السرهندي هذه الفرصة ليوسع مجال عمله، ويؤثر على ذهن الإمبراطور جهانكير، ورجال حاشيته،

www.abulhasanalinadwi.org

وقد كان أمام الشيخ السرهندي ثلاثة طرق في ضوء تجاربه وعلمه .

١- أن يدع الحكم ورجاله ، ليتصرفوا كما يشاؤن ، وينعزل هو عن معترك الحياة ، ويلجأ إلى زاوية ، يشتغل فيها بذكر الله وعبادته ، ويعكف على تربية المنتسبين إليه ، ولا يتعرض للحكام ، وكان يسلك هذا المسلك علماء كثيرون في عصره ، وكانت الزوايا والتكايا منتشرة في الهند ، واستفاد بها ألوف من المسلمين ، وقد أدت هذه الزوايا خدمة كبيرة في تربية الناس دينياً وخلقياً .

٢- أن يتخذ موقفاً سلبياً ، وهو التصدى للحكام ، ومقاومتهم ، وتنظيم جبهة معارضة تتألف من المحبين للإسلام ، والمناضلين ، وبث روح الجهاد في القلوب ، وإشعال العواطف الدينية ، لمحاربة الحكام ، أو محاولة انقلاب باستمالة قلوب المتحمسين للإسلام في الجيش ، وتغيير الحاكم بتأليب الجمهور ، أو رجال الجيش .

٣- أن يقيم صلات شخصية بناءة برجال الحاشية ، ومن يخدم الملك ، وأعوانه في أمور الدولة ، والتأثير على ذهن الملك نفسه ، وإثارة دفائن قلبه ، وتهييج عواطفه وتغيير البيئة التي تحيط بالملك ، وأن يبتعد عن المكاسب

www.abulhasanalinadwi.org

المادية ، ويترفع عن كل المغريات ، ويثبت إخلاصه في عمله ، وتضلعه في العلم ، وتمسكه بالشريعة .

آثر الشيخ السرهندي الطريق الثالث ، لأن تجارب الدعوة السابقة أثبتت أن الطريق الأول لا يأتي إلا بثمار مؤقتة ، وتأثير محدود ، وينتهي هذا الطريق إلى فشل ، وأحياناً إلى رد فعل يقضي على سائر إمكانيات الدعوة ، ويكلف النفوس أكبر مما ينتج ، كما يحدث في هذا العصر للحركات العسكرية المناوئة لنظام الحكم فإن المعارضة السياسية المنظمة ، والنضال العسكري يعرض المقدمين عليها للعمليات الانتقامية العنيفة ، ويصير الدين الذي يدعون إليه ، والنظرية التي يسعون إلى إقرارها هدفاً لاستبداد الحكام ، وتفرض القيود على سائر النشاطات التي لها أي علاقة برجالها ، وينال أعداء الدين فرصة للحد من نفوذ الدين ، والقضاء على نفوذ رجال الدين وتصفيتهم ، وقد فشلت عدة حركات قامت باسم الإصلاح الديني ، واصطدمت بنظم الحكم ، وباءت بالفشل في نهاية الأمر في العصور القديمة ، فآثر الشيخ السرهندي بحكمته وفراسته الطريق الإيجابي ، والطريق الفكري بدلاً من طريق الانعزال ، أوطريق التصدي ، والمواجهة السافرة ، ورجح

www.abulhasanalinadwi.org

الإمالة على الإزالة ، وكان ذلك طريقاً مأموناً ، وعملاً مثمراً ، ومستديماً ، ظهرت نتائجه في حينها .

ولا شك في أن كل حاكم مسلم يحيط به رجال مسلمون ، وأن لكل حاكم ثقات ومنفذين لسياسته ، ومستشارين ، فإذا كانت الطرق مسدودة للوصول إلى الحاكم ، فإن طرق الوصول إلى أعوانه ، وأعوان أعوانه ، والمنفذين لسياسته غير مسدودة ، لأن كثيراً منهم يحملون عواطف إسلامية ، وتوجد مواضع للنفوذ إلى قلوبهم .

كتب تنوب عن كتائب :

وقد اختار الشيخ السرهندي هذا الطريق الذي لا يوجد له نظير في التاريخ ، وخاطب هؤلاء العظماء من رجال البلاط الملكي في لقاءاته ، وفي رسائله الموجهة إليهم ، وأثار في نفوسهم الحمية الإسلامية بقوة بيانه ، وعاطفته الوقادة التي تلين الصخور ، وتؤثر فيها ، ولا تزال هذه الرسائل التي وجهها الشيخ أحمد السرهندي تحمل التأثير ، وتعتبر من أقوى الآثار الأدبية ، وقد كتب الشيخ السرهندي هذه الرسائل بدم قلبه ، وهي تدمي العيون ، وتشجي القلوب ، على ضعف الإسلام ، واستكانة العاملين به ، وبطش المستبدين ، والمتهكمين ، وانتهاك

www.abulhasanalinadwi.org

الحرمات ، والاستخفاف بالقيم الإسلامية ، والاستهانة بمثل الحياة الإسلامية .

يقول في رسالة له كتبها إلى السيد فريد البخاري فور جلوس جهانجير على عرش المملكة :

"إن السلطان في الدنيا كالقلب في البدن ، فإذا صلح القلب صلح الجسد ، و إذا فسد القلب فسد الجسد ، وإن صلاح السلطان صلاح الدنيا ، وفساد السلطان فساد الدنيا".

ويقول: "أنتم تعرفون جيدا ما مني به الإسلام في القرن الماضي في عهد السلطان أكبر من رزيئة ونكبة ، ولم يكن الإسلام رغم غربته في القرون التي مضت قبله ذليلا ومهانا مثلما كان في هذا القرن" .

ويقول: "وا مصيبتاه! وا حزناه! يا حسرتاه ! أتباع محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو حبيب رب العالمين ، أذلة ضعفاء ومهانون ، والجاحدون بنبوته أعزة أقوياء يكرمون ، كان المسلمون بقلوبهم الجريحة المكلومة يندبون الإسلام ويرثونه وينوحون عليه ، وكان المكابرون الجاحدون يسخرون ويستهزؤن وينكئون جروح المسلمين الدامية" .

ويقول: "كل رزيئة رزئ بها الإسلام في القرن

www.abulhasanalinadwi.org

الماضي كان من شؤم علماء السوء، فهم الذين أضلوا السلطان وأغووه".

ويقول: "يجب هذا الفقير الذي بضاعته مزجاة أن ينضم إلى معسكر المناصرين للإسلام، وللدولة المسلمة، ويبذل جهده في نصرة الدين، فإن من كثر سواد قوم فهو منهم، ومن يدري لعل الله يجعل هذا الفقير من هذه الجماعة الكريمة".

وسجن الشيخ، فحول سجنه مركزا لدعوته، يخاطب فيه السجناء، ويستميل قلوبهم بدون أن يثيرهم للفتنة، أو يؤلبهم على الحكومة، فكان يغرس في قلوبهم الإيمان والتفاني في سبيله، ونبذ ما يتنافى مع تعاليمه، فكانت حياتهم تتغير وهم في السجون، ويخرجون منها عند ما يخرجون وهم في حالة نفسية مختلفة، هم دعاة إلى الله، وعاملون بالشريعة الإسلامية، ومن داخل أسوار السجن كان يراسل أصحاب النفوذ، ولا يطلب منهم بأن يساعدوه على الخروج من السجن، وإنما يراسلهم ليثير فيهم عاطفة الولاء للإسلام، ويحبب إليهم اتباع الشريعة، وإقامة العدل، والإنصاف، وتقديس الحرمات، ويكره الكفر والبدع، ولما أطلق سراحه، وأجبره الإمبراطور

www.abulhasanalinadwi.org

جهانكير بن أكبر المغولي على أن يرافقه في الحل والترحل ، في السلم والحرب ، ليراقب على حياته ، ونشاطاته ، ويدرس طبيعته ، وميوله وأفكاره عن كثب ، ويكون في مأمن عن خطره وهو بعيد عنه ، فأثر على الإمبراطور وجذب قلبه بقوة إيمانه وصفاء قلبه ، وإخلاصه وحبه له ، وتعمقه في العلم ، وصدقه في الحياة ، فتغيرت حياة الملك تدريجياً ، ومال بنفسه إليه وإلى ما يدعو إليه ، فأحل ما حرم والده ، وحرم ما أحله من حرمات ، وعمر المساجد ، وعامل العلماء معاملة الإجلال والتكريم ، وعدل بين الناس ، فعرف بعدله ، وإنسانيته ، وعاد نظام الحكم إلى نصابه ، بالإضافة إلى ما بذل جهوداً جبارة لتوطيد أركان الدولة ، وإقرار النظام ، فلما انتقلت الولاية إلى ابنه شاه جهان ، كانت البلاد قد عادت إلى الطبيعة الإسلامية واستقرت .

أثمرت جهود الشيخ أحمد السرهندي في تغيير القلوب ، فكان الانقلاب الذي أحدثه انقلاباً للتاريخ ، وانقلاباً للعهد ، سخر قلوب الحكام والأمراء ، وغير جو البلاط الملكي ، وأنشأ جيلاً من رجال التربية الذين يراعون هذا التغير بنفس الحكمة والأسلوب الذي اختاره الشيخ السرهندي ، فواصل أتباعه ومسترشدوه جهاده ، ودعوته ،

www.abulhasanalinadwi.org

وكـان بتأثـير مسترشـده ونجلــه الشـيخ محمــد معصــوم السرهندي أن تشرف العرش المغولي بابن حفيد الإمبراطور أكبر السلطان أورنك زيب عالمكير المؤمــن المجـاهد الصـالح الذي استعاد ذكريات عهد الخلفاء الراشدين ، وفتــح عـهداً جديداً ، وأعاد للإســلام مجـد ه وصولتـه ، ونفـذ التعـاليم الإسلامية ، وأقام مجتمعاً عادلاً تسوده الشــريعة الإسـلامية ، والأخـلاق الإسـلامية ، و دوّن الفتـاوى ، وقـرّب العلمـاء ، وأكرم رجال التربية الإسلامية ، وقضى على رواسب الحكم السابق الذي كان قد انحرف عن الإسلام ، بدون أن يثير رد فعل في الأغلبية الوثنية بحكمتــه ودهائـه ، وسياسـته ، وقـد كـان علـى صلـة دائمـة بخلفـاء الإمـام أحمــد الســرهندي ومسترشديه .

يرجع اتصال الإمبراطور أورنج زيب بخلفاء الإمــام الســرهندي إلى عــهد ولايتـه ، فقـد اتصــل بالشــيخ محمــد معصوم بن الإمام السرهندي اتصــال بيعـة وتربيـة ، وكــان الشيخ معصوم يعتني به اعتناء خاصاً ، ويلقبــه بـولي العـهد الحامي لذمار الإسلام ، الذي كان إرهاصاً لمستقبله العظيم ، وتفاؤلاً نافعاً وقد أشار إلى اتجاه أورنج زيب الشــيخ سـيف الدين بن الشيخ محمد معصوم السرهندي في رسالة لــه إلى

www.abulhasanalinadwi.org

والده:

"إن إخلاص السلطان الحامي لذمار الإسلام لسيدي الشيخ من طراز آخر، إنه مر بمقام ذكر اللطائف الستة، وسلطان الأذكار، إلى مقام ذكر النفي والإثبات، وأثنى الشيخ محمد معصوم على الله وحمده كثيرا وشكره في رده على رسالة ولده الشيخ سيف الدين "أن وهب الله السلطان هذه المقامات".

وكان الشيخ سيف الدين يبعث إلى الإمبراطور أورنج زيب رسائل توجيهية ويرشده، وعرفت هذه الرسائل بالرسائل السيفية، وذكر ذلك الشيخ سيف الدين في رسالة له إلى والده:

"سيدي الوالد نعيش هذه الأيام مجالسات ومذاكرات طويلة ونذاكر في بعض الرسائل الدقيقة ويستمع السلطان بغاية الإخلاص والإصغاء".

يقول الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي عن تأثير الإمام السرهندي في الدولة الإسلامية، والمجتمع الإسلامي: "أثمرت جهود خليفتي الإمام السرهندي الكبيرين الشيخ محمد معصوم والشيخ آدم البنوري، وخلفاءهما الربانيين المخلصين العظام، وأصبحت هذه

www.abulhasanalinadwi.org

البلاد - تدريجيا - مركزا روحيا وعلميا للعالم الإسلامي ، الذي كانت تغشاه سحب الضعف والانحطاط الفكري والعلمي في القرنين الحادي عشر والثاني عشر ، وبدأت الوفود من أقاصي العالم الإسلامي تتوجه إلى الهند ، لينهلوا من معينها العلمي والروحي ، ويتلقوا التربية الدينية ، وبلغ هذا التأثير ذروته في عهد الشيخ غلام علي البتالوي (١١٥٦-١٢٤٠ هـ) خليفة الشيخ مرزا مظهر جان جانان الذي يستحق أن يدعى بمجدد الطريقة المجددية ، بل مجدد علم السلوك والإحسان والتزكية ، وقد عاصر الشيخ عبد العزيز الدهلوي ، فقد قصده الطالبون من البلاد العربية والعجمية ، وتهافتوا عليه تهافت الفراش على النور ، يقول عنه السير السيد أحمد خان الدهلوي مؤسس جامعة عليجراه الإسلامية الذي أدرك آخر أيام حياته في كتابه "آثار الصناديد":

"شاهدت بأم عيني في زاويته رجالا من الروم والشام ، وبغداد ومصر ، والصين والحبشة ، وفدوا عليه وبايعوه ، ورأوا خدمة هذه الزاوية سعادة العمر وحسنة الدهر ، وكان يسكن في زاويته زهاء خمسمائة من الطالبين المنقطعين إلى التربية والتزكية ، وكان الشيخ متكفلا

www.abulhasanalinadwi.org

بطعامهم وملابسهم .

وكان ممن قصدوه من البلاد العربية الشيخ خالد الرومي ، الذي بلغه صيت الشيخ غلام علي وإرشاده وتربيته في بلاده ، فشد رحله في شوق وحنين واضطراب ، ولما رجع إلى بلاده بعد الفوز بإجازته ، تهافت عليه الناس من كل صوب وحدب[1] .

❁ ❁ ❁

[1] رجال الفكر والدعوة في الإسلام ج/٣

www.abulhasanalinadwi.org

-٢-

الشيخ ولي الله الدهلوي ، الشخصية الجامعة

كان القرن الثاني عشر للهجرة عهد انقراض الدولة المغولية الذي ثارت فيه الفتن من كل جانب ، ونفقت سوق البدع والخرافات ، وسادت الطقوس والعادت الوثنية الهندوكية ، وانتعشت الحركات المضادة للإسلام ، وثارت الطوائف في مختلف أرجاء الهند ، وكان الملوك المسلمون لا حول لهم ولا طول ، وغلبت الفرق الباطنية ، و واجه الإسلام حرباً فكرية ، وسياسية ، واجتماعية ، من الفرق التي كانت تدعي الإسلام ، ومن أعداء الإسلام السافرين ، فكان العهد يقتضي شخصية فذة ، تتصف بصفات عالم ، وقائد سياسي ، وداع ومصلح رباني ، ومفكر حكيم ، يدافع عن الإسلام ، ويهاجم أعداءه بحكمة .

وقد جمع الله هذه الصفات التي قلما تجتمع في

www.abulhasanalinadwi.org

شخص واحد، في شخصية الشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشيخ ولي الله الدهلوي (١١١٤-١١٧٤هـ) الذي وضع أسساً للعلم والتربية، والدعوة، والجهاد، ولا تزال تلمس آثارها في الهند، وتنعكس في سائر الجهود العلمية والسياسية، وتشكل أعماله العلمية ومجهوداته الجبارة التي قام بها في تربية المسلمين، وإعداد العلماء الأكفاء لحمل أمانة الدعوة الإسلامية صفحة رائعة من التاريخ الإسلامي، وكان أنجاله وأحفاده في مقدمة العلماء الربانيين والدعاة المخلصين، وتزخر المكتبات الإسلامية في العالم بمؤلفات أسرة الشيخ الدهلوي، والمنتسبين إليها، في التفسير، والحديث، والفقه، والتربية الإسلامية، ويتجمل التاريخ بذكر جهودهم، ونقتبس هنا ما كتبه العلامة شبلي النعماني في تاريخ علم الكلام:

"بعد الانحطاط الذي بدأ في المسلمين بعد ابن تيمية، وابن القيم، بل في عصرهما لم يكن يرجى أن يحظى العالم الإسلامي برجل القلب والعقل والذكاء بعدهما، ولكن كانت القدرة الإلهية أحبت أن تظهر بشكل الإمام ولي الله الدهلوي في الزمن الأخير، فقد اختفت مكارم الإمام الغزالي، والرازي، وابن رشد ببيانه

www.abulhasanalinadwi.org

المعجز ، ونكته العلمية البديعة ، ودراساته العميقة لأسرار الشريعة ومعالم الدين".

كان مفسراً ، محدثاً ، فقيهاً ، أصولياً ، متكلماً ، فيلسوفاً ، سياسياً ، كاتباً قديراً بالعربية ، سيال القلم ، ومؤلفاً جيداً ، وبعض كتبه لم ينسج على منوالها خصوصاً ، "الفوز الكبير" في أصول التفسير ، و"إزالة الخفاء في خلافة الخلفاء" و"رسالة الإنصاف في سبيل الاختلاف" أما كتابه الشهير "حجة الله البالغة" فهو كتاب فريد في موضوعه هو بيان حقائق الدين، وتطبيق العقل والنقل ، وشرح النظام الديني والسياسي" .

مجهوداته لإصلاح المجتمع وأفكاره :

إن جهود الشيخ الدهلوي العلمية ، والدينية في غنى عن التعريف بها[1]، وسنلقي هنا بعض الضوء على مجهوداته التي بذلها في إنقاذ المجتمع الإسلامي خاصة والمجتمع الهندي عامة ، من الأمراض الخلقية ، والاجتماعية ، وإقامة نظام عادل ، وحماية الحكم الإسلامي من الأخطار المحدقة .

كانت الحكومة المغولية في عهده لقمة سائغة لكل

[1] للتفصيل راجع كتاب "رجال الفكر والدعوة في الإسلام" للشيخ أبي الحسن على الحسني الندوي ج/٤ (ترجمة الشيخ ولي الله الدهلوي).

www.abulhasanalinadwi.org

باغ ومعتد، وطامع في الحكم، وكان المسلمون مصداق الحديث الشريف، "تتداعى عليكم الأمم تداعى الأكلة على القصعة" فأحاطت بهم عصابات ثائرة من السيخ والمرهتة والزوط(جات)، وعجزت الدولة عن دفعها.

كانت عاصمة دهلي مهددة من كل جانب، وانحصرت قوة المسلمين داخل القلعة الحمراء، فلم يكن ينقضي يوم إلا وكانت العاصمة عرضة للقتال، وسفك الدماء، وانتهاك الحرمات، كان المراهتة يغيرون على العاصمة، وينهبون الأموال، ويخطفون الأولاد والنساء، لا يستحيون الحوامل منهن ويقتلون، ويرتكبون كل أنواع من الجرائم، ثم صارت الحياة وبالاً لكل شخص، فكتب الشاه ولي الله الدهلوي إلى أحمد شاه الأبدالي، وطلب منه نصرة المسلمين، فوصل إلى الهند، وحارب المراهتة في باني بت، وهزمهم، ويقول المؤرخ(جادو ناتهـ سركار): إنه لم يبق بيت من البيوت في مهاراشترا إلا ونلحت فيه النائحات، ولم يستطع مراهتة النهوض عشر سنوات.

و وجه رسائل إلى بعض الأمراء الآخرين، وحثهم على مواجهة هذا الوضع، وإنقاذ المسلمين، كما دعا في رسائل أخرى وجهها إلى الحكام المسلمين إلى التواصي

www.abulhasanalinadwi.org

بالحق ، والحكم بالعدل ، وإعادة الأمن والسلام .

و أوضح الإمام الدهلوي أسباب تخلف المسلمين ، وإنقراض حكمهم ، وكشف لهم الأخطار المحدقة بهم الناتجة من الترف ، والمجون ، وهجر التعاليم الإسلامية ، وخوض العلماء في مسائل لا تجدي ولا تنفع ، وغلبة الشح والأثرة ، والفقر والجهل ، وتدهور النظام الاقتصادي والسياسي .

خاطب الإمام الدهلوي كل طبقة من طبقات المجتمع الهندي ، إنه خاطب ملوك عصره برسائل وجهها إليهم ، يلفت عنايتهم إلى إصلاح شؤون الدولة ، فيقول في رسالة طويلة بعث بها إلى أحد ملوك عصره ، بعد نصائح وبيان أسباب نزول رحمة الله ونصرته" .

"أرجو من فضل الله ورحمته أنه إذا صح العمل وتحقق بموجب هذه الكلمات فسوف تظهر القوة والحزم في شؤون الدولة وبقاء الحكومة "، وخاطب المترفين من المسلمين فقال :

" أيها الأغنياء ! ألا تخافون الله ، تنغمسون في ملذات الحياة الدنيا ، وتغفلون عن الناس الذين تتحملون مسئولية رعايتهم ، فيأكل بعضهم بعضاً ، وتصرفون قواكم وطاقاتكم في الحصول على وسائل الاستمتاع ، واللذة ،

www.abulhasanalinadwi.org

والتنعم ، والملابس الفاخرة ، والفرش الناعمة ، والأطباق الشهية ، والمباني العالية المزخرفة ، تدعوكم الدنيا فتجيبونها".

ويخاطب الجنود المسلمين فيقول :

"يجب عليكم أن تختاروا الاعتدال والاقتصاد في المعيشة ، وحياة القناعة ، وحب الآخرة ، وساعدوا المساكين والفقراء ، وواجهوا المصائب والآلام بتدبر وحكمة وتجلد ، واقتصاد".

وانتقد الإمام الدهلوي المشايخ المتكسبين الذين لا يهمهم إلا كسب المال ، واختاروا الزهد للمنفعة العاجلة ، وخاطب العامة ، وأفراد الشعب ، ودعاهم إلى العفاف ، واحتمال المكروه ، والعيش بكفاف ، والاجتهاد في الحياة ، وأن لا يكونوا كلاً وعيالاً ، بل يجب عليهم أن يعتمدوا على أنفسهم ، فلا يكونوا كلاً وعيالاً على الحكام والملوك ، ولا على غيرهم ، ويحثهم على كسب الرزق والجهد فيه .

وأشار الإمام الدهلوي إلى السبب الرئيسي لاختلال النظام في عهده ، وهو ضعف الوازع الديني ، وفقدان التوازن الاقتصادي والسياسي ، وذهاب الرعب من القلوب ، وقد أشار إلى المبادئ الأربعة التي تحث عليها

www.abulhasanalinadwi.org

الشرائع السماوية .

وهي : (١) الطهارة (٢) الإخبات لله

(٣) السماحة (٤) العدالة .

بذل الإمام الدهلوي جهوده في مختلف المجالات ، الجهاد العلمي ، والجهاد السياسي ، والاجتماعي ، و وضع قاعدة متينة ، وخلف أسوة للقادمين من العلماء والمفكرين ، فقد كانت حياته شاملة ، تظهر عبقريته ونبوغه في كل مجال من مجالات الحياة ، وخلف تأثيراً فكرياً ، وتراثاً علمياً ، ونماذج عملية ، في أسرته ، ولا تزال الهند تستنير بتلك الجهود الرائدة حتى و بعد مضى حوالي قرنين ونصف قرن ، و أوضح الشيخ الدهلوي معالم سياسة المدينة ، فقال وهو يحدد المسئوليات وموقف الحاكم :

"لما كانت المدينة ذات اجتماع عظيم لا يمكن أن يتفق رأيهم جميعاً على حفظ السنة العادلة ، ولا أن ينكر بعضهم على بعض من غير أن يمتاز بمنصب ، إذ يُفضي ذلك إلى مقاتلات عريضة ، لم ينتظم أمرها إلا برجل اصطلح على طاعته جمهور أهل الحل والعقد ، له أعوان وشوكة ، وكل من كان أشح وأحد وأجرأ على القتل والغضب فهو أشد حاجة إلى السياسة ، ومن الخلل أن

www.abulhasanalinadwi.org

تجتمع أنفس شريرة لهم منعة وشوكة على اتباع الهوى ورفض السنة العادلة".

ويشير في أسباب فقدان التوازن غير غلبة قوى الشر والإفساد إلى إقبال الناس على الاكتساب بحيث يضر بالمدينة ، مثلاً يقبل أكثرهم على التجارة ، و يدعون الزراعة ، أو يتكسب أكثرهم بالغزو ونحوه ، وإنما ينبغي أن يكون الزراع بمنزلة الطعام ، والصناع والتجار والحفظة بمنزلة الملح المصلح له .

ويقول وهويعد دواعي سياسة المدينة "من باب الحفظ بناء الأبنية التي يشتركون في الانتفاع بها ، كالأسوار ، والربط ، والحصون ، والثغور ، والأسواق ، والقناطر ، ومنه حفر الآبار ، واستنباط العيون ، وتهيئة السفن على سواحل الأنهار ، ومنه حمل التجارة على المسيرة بتأنيسهم وتأليفهم وتوصية أهل البلد أن يحسنوا المعاملة مع الغرباء ، فإن ذلك يفتح باب كثرة ورودهم ، وحمل الزراع على أن لا يتركوا أرضاً مهملة ، والصناع أن يحسنوا الصناعات ، ويتقنوها ، وأهل البلد على اكتساب الفضائل كالخط والحساب والتاريخ والطب والوجوه الصحيحة من تقدمة المعرفة ، ومنه معرفة أخبار البلد ليتميز الداعر من

www.abulhasanalinadwi.org

الناصح ، وليعلم المحتاج فيعـان ، وصـاحب صنعـة مرغوبـة فيستعان به".

ويذكر أسباب إخلال الأمن ، فيقول :"غالب سـبب خراب البلدان في هذا الزمـان شيئان : أحدهمـا تضييقـهم على بيت المال بأن يعتادوا التكسب بالأخذ منه على أنـهم مـن الغـزاة ، أو مـن العلمـاء الذيـن جـرت عـادة الملـوك بصلتهم كالزهاد ، والشعراء ، أو بوجه من وجوه التكـدي ، ويكون العملة عندهم هو التكسب دون القيام بالمصلحـة ، والثاني : ضرب الضرائب الثقيلـة علـى الـزراع والتجـار والمتحرفة والتشديد عليهم".

ويذكر من صفات الملوك وسيرتهم أن يكون الملـك متصفاً بالأخلاق المرضية ، وإلا كان كلاً على المدينة ، فـإن لم يكن شجاعاً ضعف عـن مقاومـة المحـاربين ، ولم تنظـر إليـه الرعية إلا بعين الهوان ، وإن لم يكن حليمـاً ، كـاد يهلكـهم بسطوته ، وإن لم يكن حكيماً لم يسـتنبط التدبـير المصلـح ، وأن يكون عاقلاً بالغاً ، حراً ذكراً ذا رأي وسمـع ، وعليـه أن يتحلى بالأخلاق الفاضلـة ممـا يناسـب رئاسـته كالشـجاعة والحكمـة والسـخاوة ، والعفـو عمـن ظلـم ، وإرادة نفـع العامة".

www.abulhasanalinadwi.org

ويقول وهو يؤكد على أهمية الأعوان للملك: "لما كان الملك لا يستطيع إقامة هذه المصالح كلها بنفسه وجب أن يكون له بإزاء كل حاجة أعوان، ومن شروط الأعوان، الأمانة والقدرة على إقامة ما أمروا به، وانقيادهم للملك، والنصح له ظاهرا وباطنا، وكل من خالف هذه الشريطة فقد استحق العزل، فإن أهمل الملك عزله، فقد خان المدينة"[١].

لقد كان من نعم الله وفضله أن أنجبت الهند في أوائل الألف الثاني من الهجرة، شخصيتين عظيمتين للدفاع عن الإسلام، وتربية المسلمين، ووضع قاعدة متينة لحماية الدين الحنيف، إحداهما شخصية المجدد الألف الثاني الشيخ أحمد السرهندي، وثانيتهما الشيخ ولي الله الدهلوي، كما يرجع فضل إعادة الإسلام إلى مكانته اللائقة في الهند، واستئصال جذور الفساد، والانحلال والإلحاد، ومكافحة البدع، والخرافات، بتصحيح مسار نظام الحكم، وتهيئة مجال الدعوة الإسلامية، وتعزيز جهود العلماء والدعوة ورجال التربية إلى الإمبراطور أورنج

---

[١] "حجة الله البالغة" المجلد الأول، ص: ١٣٥-١٤٢، طبع بدار إحياء العلوم، بيروت – لبنان ١٩٩٠م.

www.abulhasanalinadwi.org

زيب عالمكير ، فلو لم تكن هذه الشخصيات الثلاث لكان الإسلام في الهند قد تحول إلى طبع جديد ، وصار طقوساً وعادات ، وابتعد عن ينابيعه الأصلية ، واصطبغ بالصبغة المحلية .

كان من فضل الله العظيم على الهند أن قيض في كل عصر من يجدد دينه كلما عم الفساد ، وشاع الشرود الفكري ، وفشت البدع والخرافات ، وساد نفوذ العلماء المغرضين ، وكثرت التأويلات الفاسدة ، وأباطيل المشككين والمضللين ، وقد قيض الله لهذا العمل الجسيم عمل تجديد الدين ، وإعادته إلى منهج السلف الشيخ أحمد السرهندي ، ثم قيض له شخصية أخرى كانت منتسبة إلى الشيخ السرهندي ، لما بدأ الانحراف من جديد ، وهي شخصية الشيخ ولي الله الدهلوي الذي عاصر عصر انحطاط الحكم الإسلامي ، وتوغل أعداء الإسلام ، فكافح الخطر الجديد ، سياسياً وعلمياً وتربوياً ، وأنشأ هو وأولاده مكتبة علمية زاخرة في الدفاع عن الإسلام ، كما عمروا مراكز التربية ، والتوعية الإسلامية ، والعلوم الإسلامية التي لا تزال تنجب أقطاب الفكر الإسلامي رغم مرور حوالي قرنين ، ورغم سقوط الحكم الإسلامي في الهند .

www.abulhasanalinadwi.org

أدرك الشيخ ولي الله الدهلوي بفراسته الإيمانية ووعيه الثاقب الأخطار المحدقة بنظام الحكم الإسلامي ، وأدرك ما يهدد الإسلام من نظريات ومعتقدات ، وفلسفات باطلة ، وسوء تأويل لنصوصه ، فوضع منهجاً جديداً للتعليم ، واهتم بتربية العلماء ، وعرض الإسلام في ضوء المشكلات الجديدة ، وشرح الدين وتعاليمه حسب العقلية المتغيرة ، والوضع الجديد ، ونقى الإسلام من الشوائب ، وخاطب العقل والقلب ، ورجال الدين ، والدولة معاً .

تعتبر أسرة الشيخ ولي الله الدهلوي السلسلة الذهبية التي تجمع سائر حلقات العلم ، والتعليم ، والدعوة ، والتربية الإسلامية ، والجهاد ، وتتصل بها سائر الجهود التي بذلت في الهند منذ ذلك الوقت في المجالات السياسية ، والدينية ، والاجتماعية ، والعلمية ، فقامت مؤسسات ومدارس ، ومراكز للتربية ، وحركات للجهاد ، ومنظمات لتوحيد كلمة المسلمين ، وصيانتهم من الذوبان، أو أن تجرفهم التيارات الجديدة ، التي اكتسحت في عهد انحطاط المسلمين وسقوط الحكم الإسلامي ، وعهد الإنجليز، ثم في عهد استقلال الهند ، وقد تزعم سائر هذه الحركات المنتسبون إلى أسرة الشيخ ولي الله الدهلوي ، والمغترفون من

www.abulhasanalinadwi.org

مناهل أسرته ، وكان واسطة القلادة الشيخ عبد العزيز بن الشيخ ولي الله الدهلوي الذي يصل إليه نسب سائر الحركات الإسلامية التعليمَية والتربوية ، وحركات الدعوة والجهاد التي قامت في الهند ، وإليه يرجع فضل حركة الدعوة والجهاد للإمام الشهيد أحمد بن عرفان الرائي بريلوي ، الذي انخرط في سلكه كبار العلماء والمصلحين في عصره ، وهو الواسطة بين أسرة الشيخ ولي الله الدهلوي ، وبين قادة الفكر، الذين صانوا العقيدة الإسلامية من التحريف ، وكافحوا الحركات الباطلة ، وحملوا لواء الإسلام في الهند في عصور الفتن ، والمحن ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، ونشروا تعاليم الإسلام .

www.abulhasanalinadwi.org

-٣-

الإمام الشيخ أحمد بن عرفان الشهيد والجمع بين الدعوة والتربية والجهاد

شهد القرن الثالث عشر للهجرة زوال حكم المسلمين ، ونشأة دويلات للسيخ ، والمراهتة ، والفرق المنحرفة عن السنة ، والمبتدعة في مختلف أنحاء الهند ، وتفشت البدع والمنكرات في كل مكان ، وترك المسلمون شعائر الإسلام وآدابه ، وتحولت الصوفية إلى طقوس ومجاهدات مضنية بعيدة عن السنة النبوية ، فهبت ريح الإيمان والتجديد والجهاد في سبيل الله بحركة الإمام المجاهد أحمد بن عرفان الشهيد ، ودعوته وتربيته ، وتجددت ذكريات القرن الأول [1].

---

[1] ولد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد في رائي بريلي في أسرة الشيخ علم الله الحسني في عام ١٢٠١هـ، ونشأ وتربى في حضن علماء أسرته الذين كانت لهم صلة بأسرة الشيخ ولي الله الدهلوي، ثم سافر إلى دلهي للاستفادة والإرشاد من الشيخ عبد العزيز الدهلوي، فقضى فترة في

www.abulhasanalinadwi.org

"أشعل الإمـام المجاهد في القلـوب شـعلة الإيمان، والحماسة الإسـلامية ، والجهاد في سـبيل الله ، ونظـم جماعـة كبيرة ، وأحسن تربيتها الدينية والحربية ، وهاجر معـها مـن طريـق بلوشسـتان وأفغانسـتان إلى حـدود الهنـد الشـمالية الغربية ، واتخذها مركزا لدعوتـه ، لمحاربـة السـيخ ، وإجـلاء الإنجليز ، وتأسيس دولة على منهاج الكتاب والسنة ، و قـد هزم هؤلاء المجاهدون السيخ الذين كـانوا احتلـوا بنجـاب ، وأذاقوا المسلمين سوء العذاب ، وأسس الإمام المجاهد دولـة شرعية في المناطق التي حررهـا ، تشـتمل علـى بشـاور ومـا جاورها من المدن والقرى"[1].

ثـم ثـارت قبـائل حرضتـها المصـالح الشـخصية ، والعادات الجاهلية فقلبت هذا النظام ، واصطدم المجـاهدون بالسـيخ في وادي "بـالاكوت"، واستشـهد الإمـام والشـيخ إسماعيل بن الشيخ عبد الغني بن الشيخ ولي الله الدهلوي ، وكبار أصحابه في عام ١٢٤٦هـ .

تربيته، ثم رجع إلى وطنه، وقام بجولات إصلاحية ودعوية، ثم أدى الحج مع جماعة كبيرة، ثم عاد إلى الوطن، وبعد جولة دعوية وتربوية وإعـداد النفوس هاجر الوطن للجهاد على ثغور الهند، واستشهد مع رفقتـه في بالاكوت في عام ١٢٤٦هـ.

[1] إذا هبت ريح الإيمان للشيخ الندوي.

www.abulhasanalinadwi.org

وقد أسلم على يد الشيخ الإمام خلال دعوته وحركته ألوف من الناس ، وتاب مئات الألوف ، ودخلوا في حلقته ، وجاهدوا معه جهادا ، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه .

كان الإمام المجاهد الكبير أكبر مصلح رباني لعصره ، وتلميذا ومسترشدا للشيخ عبد العزيز بن الشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشيخ ولي الله الدهلوي ، وكان في حركته كبار المشايخ والعلماء ، كالشيخ إسماعيل بن عبد الغني ، والشيخ عبد الرحيم الفاطمي الذي كان من كبار المصلحين ، وشهد معه الجهاد واستشهد ، والشيخ نور محمد الجهنجهانوي شيخ العارف بالله الحاج إمداد الله المهاجر المكي ، والشيخ محمد على الرامبوري ، والشيخ ولايت علي العظيم آبادي ، والشيخ سخاوت على ، والشيخ جعفر على البستوي ، والشيخ كرامت علي ، والأمير وزير الدولة ، وقام جميع هؤلاء الخلفاء في مختلف أنحاء الهند بمكافحة البدع ، والوثنية ، والعادات الجاهلية .

منهج الإمام أحمد بن عرفان :

كان الإمام أحمد بن عرفان قد هيأه الله ، للدعوة والجهاد ، واستئصال جذور الفساد والطغيان التي تأصلت في عصره ، فنشأ نشأة مختلفة عن أقرانه ، فقد كان الشباب

www.abulhasanalinadwi.org

إما يركزون على التعليم ، فيؤمون أساتذة العلم ، وإما كانوا يؤمون مراكز التربية الروحانية ، فيعتفكون للعبادة والتزكية ، وإما يقصدون نشاطات أخرى للحياة ، فيشغلون مناصب دنيوية .

قضى الإمام أحمد فترة دراسته ، لكنه كان ولوعاً بالفروسية والرياضة ، وخدمة الناس ، والدعوة إلى الخير منذ صباه ، فلما بلغ أشده جعل خدمة الناس نصب عينه ، فكان يأتي بأعمال يعجز عنها حتى كبار الصالحين ، فلا يترك فرصة لخدمة الأرامل والعجزة ، ولكن لا يقف ذلك في انهماكه في العبادة ، فيقضي ساعات في تأملاته ، وذكر الله ، والتسبيح له بكرة وأصيلا ، ثم ينصرف إلى التمرينات الرياضية .

قصد الإمام أحمد إلى الشيخ عبد العزيز الدهلوي ، للتكميل الباطني ، وفي فترة وجيزة نال ثقته ، و وصل إلى درجة عالية لا يصل إليها كبار المشايخ إلا بعد جهد جهيد ، ومجاهدات مضنية ، وعاد إلى الوطن داعياً إلى الله ، ولكن شوق الجهاد في سبيل الله كان يحدوه ، فالتحق بجيش أحد الأمراء المسلمين للتربية العسكرية ، وكان خلال التربية العسكرية يواصل أعمال الإصلاح ، والتربية الروحانية ،

www.abulhasanalinadwi.org

والعبادة ، والمجاهدة ، وبفضل جهده تحول الجيش إلى مجال الدعوة والإرشاد ، وحدث انقلاب في حياة الأمير نفسه الذي كان يعمل في جيشه .

عاد الإمام أحمد بعد التربية العسكرية إلى دهلي ، والتف حوله الناس ، وبايعه كبار أعضاء أسرة الشيخ ولي الله الدهلوي ، وهما الشيخ عبد الحي والشيخ محمد إسماعيل ، ولازما صحبته إلى آخر أيام حياتهما ، وأقبل عليه العلماء والشيوخ .

قام الإمام الشهيد بجولات الدعوة في المدن المجاورة لدهلي ، وبايعه ألوف من الناس ، وتابوا عن الشرك والبدع ، وكان كل من يقضي بضع ساعات في صحبته تتغير أحواله ، وكانت تعمر المساجد ، وتقام مدارس التعليم في المناطق التي يزورها ، وكان يقوم بإحياء السنة ، والسلوك الإسلامي ، والحمية الإسلامية ، ويتحدث الشيخ محمد إسماعيل والشيخ عبد الحي في سائر هذه الجولات ، وكان لخطبهما تأثير عميق .

عاد إلى وطنه رائي بريلي ، وكان زمن جدب ، فكان يطعم الناس ، ويشارك في أفراحهم وهمومهم ، ويشترك في أعمالهم ، يخدم المعتر ، وذوي الحاجة ، فتحولت هذه القرية

www.abulhasanalinadwi.org

الصغيرة إلى مدرسة دينية ، ومركز للتربية الروحانية ، ومسرح للجهاد في آن واحد ، ثم قام الشيخ بجولات واسعة في القرى والأرياف ، وفي كل مكان كان الناس يتوبون على يده عن المعاصي ، وتتغير حياتهم .

كان الإمام شغوفاً بإحياء السنن ، ومحو العادات الجاهلية ، والوثنية ، فإذا رأى منكراً غيره بحكمة ، وترغيب، وقد كان الناس تركوا الحج في عصره ، وأصدر العلماء فتوى بسقوط فرضيته ، فدعا الإمام إلى القيام به ، وأرسل رسائل يوجه فيها الدعوة إليه ، وأعلن نيته للحج ، فتدفق الناس للحج ، وأدى الحج برفقته أكثر من ٧٠٠ عازم للحج في ١٨٢١م-١٢٣٦هـ ، وقام الإمام الشهيد بتربية الحجاج تربية إسلامية ، فتحولت هذه القافلة إلى مدرسة تربوية .

عاد الإمام إلى الوطن ، وقد غلبه شوق الجهاد ، فقرر الهجرة للدعوة والجهاد لما كان يقلقه وضع المسلمين في مناطق الحدود في بنجاب ، وتصعد خطر الإنجليز ، فوجه الدعوة إلى الأمراء المسلمين ، وأعد الشباب للخروج في سبيل الله .

أقلقت السيد أحمد سلطة الإنجليز ، والحروب الأهلية في المسلمين ، ومناظر انحطاط الإسلام ، فثارت

www.abulhasanalinadwi.org

حفيظته ، وغيرته الدينية ، وأدرك أن إعلاء كلمة الله ، وإنقاذ الدولة الإسلامية يطالب كل مسلم غيور .

وصل الإمام أحمد إلى أفغانستان ، وألف بين الأمراء المتحاربين ، و دعاهم إلى الجهاد مع أعداء الإسلام ، وقوبل السيد أحمد في كل مكان كان يزوره بحفاوة بالغة ، يلتف حوله العلماء ، والشباب ، والكهول ، ويبايعه الناس ، ويتوبون عن المعاصي ، وانضم إلى جماعته عدد كبير من العلماء والشبان ، وانتصر جيش الإمام في عدة معارك مع السيخ ، وفتح بيشاور .

كان معسكر السيد أحمد مدرسة جوالة ، تتجلى فيها العبادة ، والمجاهدة في الله ، والأخوة والمساواة ، والخدمة والمؤاساة ، والإيثار والعطف بجوار التخشن والتقشف ، والاشتغال باليد ، فبينا هم في عبادتهم من الأبدال إذا هم في شجاعتهم من الأبطال ، وكان إمامهم شريكا لهم في هذه الحياة ، لا يتميز عنهم ، ولا يستأثر بشيء ، يجوع إذا جاعوا ، ويأكل إذا أكلوا .

هكذا كان شأن الشيخ إسماعيل الشهيد ، فكان مقدما في هذه الأعمال الشاقة ، سباقا إلى الخيرات ، مشاركا للمجاهدين في جميع أعمالهم ، لا يتميز عنهم بشيء .

www.abulhasanalinadwi.org

كانت هذه الفئة المؤمنة متمسكة بالتعاليم الإسلامية، في الحل والترحال، وفي الدعوة والجهاد، وفي الحياة العامة، والخاصة، و في حالة الانتصار، وعند ما تصاب بالهزيمة، تقيم العدل إذا انتصرت، وتحاسب النفس وتعد العدة إذا انهزمت.

استشهد الإمام أحمد بن عرفان، والشيخ إسماعيل ابن عبد الغني في معركة "بالاكوت"، وجماعة من أتباعه في ١٢٤٦هـ- ١٨٣١م، فصدقوا ما عاهدوا الله عليه، وقضوا نحبهم، وقد أشعلوا جذوة الإيمان في القلوب، وأنشاوا جيلاً من الدعاة والمجاهدين، و ربوهم تربية إسلامية صميمة، كان فيه علماء، و ربانيون وأبطال ومجاهدون، فحملوا لواء العلم، والتزكية، والدعوة والجهاد، اهتدت بهم الأجيال القادمة، كان في هذه الجماعة المؤمنة المجاهدة، رجال جاهدوا ضد الإنجليز، وقادوا حركات الإصلاح والتربية الإسلامية، ولا تزال ذكرياتهم تتجدد في الأذهان[١].

يقول الشيخ عبد الأحد أحد علماء عصر الإمام أحمد الشهيد:

---

[١] إذا هبت ريح الإيمان للشيخ الندوي.

www.abulhasanalinadwi.org

"أسلم على يد الشيخ أحمد أربعون ألف شخص ، وبايعه من المسلمين ثلاثة ملايين مسلم ، ولو عد الذين بايعوا العلماء المنتسبين إليه في مختلف أنحاء العالم لبلغ عددهم عشرات الملايين".

وكتب الأمير صديق حسن القنوجي(١٣٠٧هـ) صاحب المؤلفات الكثيرة ، الذي شاهد آثار تربيته ، وكان والده السيد أولاد حسن من خلفاء السيد أحمد الشهيد :

"كان آية من آيات الله في إرشاد الخلق وتربيته ، وصل خلق كبير بتربيته الروحانية إلى منزلة الولاية ، وقد طهرت مواعظ أتباعه من العلماء والمشايخ أرض الهند من الشرك والبدعة ، ووجهت الناس إلى الحق ، والتمسك بالكتاب والسنة ، ولا تزال بركات مواعظهم تلمس في الهند[١] .

كان من خصائص هذه الجماعة التي تلفت النظر أنها كانت تجمع بين جهاد النفس وجهاد العدو ، وبين الحب لله والخشية له ، والحب لله والبغض له ، وبين الزهد والعبادة ، والحمية الدينية والغيرة الإسلامية ، وبين السيف

[١] تاريخ دعوت وعزيمت ج ٤ .

www.abulhasanalinadwi.org

والمصحف ، والعقل والعاطفة ، و بين التسبيح في المسجد والبيت في ظلام الليل ، والتكبير في ساحة الجهاد على صهوات الخيل .

ويصف الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي أحد قوافل الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، وبه تتضح ملامح التربية للسيد الشهيد :

"كانت هذه القافلة مدرسة سيارة ، وثكنة جوالة ، ومجتمعاً دينياً متنقلاً ، تلقى فيه المواعظ والخطب ، ويتعلم الناس الدين وأحكام الشرع ، وآداب الإسلام ، ويخدم بعضهم بعضاً ، ويتعاونون على البر والتقوى ، ويسود جو الأخوة والمواساة ، والعدل والمساواة ، لا يستنكف أحد عن عمل مهما كان حقيراً ، ويتحملون المشاق ، ويستلذون بها ، ويحتسبونها في سبيل الله ، ويهنئون عليها نفوسهم ، وكانوا كأعضاء جسد واحد ، وأبناء أسرة واحدة ، وكان يغشاهم سحاب من سكينة و وقار ، وهدوء وسلام ، وإخاء و وئام قد تناسوا أوطانهم وبيوتهم"[١].

[١] إذا هبت ريح الإيمان للشيخ الندوي.

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل الثالث

عهد الاحتلال البريطاني

إن كل حركة ونشاط في حياة المسلمين في الوقت الحاضر، في مجال التعليم، والثقافة، والسياسة، والاجتماع مدين للمشايخ والعلماء الربانيين الذين تأثروا بحركة ودعوة السيد أحمد بن عرفان الشهيد، إنهم كانوا قوام المقاومة والصمود ضد الغزو الفكري والسياسي الذي رافق غزو الإنجليز للهند، فقد كان هؤلاء العلماء الربانيون في مقدمة المقاومة المكشوفة في عام ١٨٥٧م، واستشهد ألوف منهم، وكان في طليعتهم مسترشدو السيد أحمد الشهيد رحمه الله كالشيخ أحمد الله، والشيخ يحيى علي.

توجهت عناية العلماء إلى مكافحة خطر التنصير والتغريب، فأنشأوا مدارس التعليم الديني، كان في مقدمتهم الشيخ محمد قاسم النانوتوي مؤسس دار العلوم بديوبند، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، والشيخ أشرف

www.abulhasanalinadwi.org

علي التهانوي ، والشيخ خليل أحمد ، والشيخ عبد الله الغزنوي ، والشيخ عبدالعزيز الرحيم آبادي ، والشيخ أبو بكر إبراهيم الآروي ، وجميعهم ينتسبون بطريق أو آخر إلى هذه الطليعة المؤمنة ، وبهم انتشرت التعاليم الإسلامية في الهند ، وأقبل الناس على العمل بالكتاب والسنة ، إنهم فتحوا مدارس إسلامية في ديوبند ، وسهارنبور ، وبتنة وغازي بور ، ومراد آباد ، وأسسوا حركات سياسية ، وأنشاوا مجامع علمية للدفاع عن الإسلام ، ونشر العلوم والثقافة الإسلامية ، ومكافحة الغزو الفكري ، و دافعوا عن الإسلام سياسياً وعلمياً ودينياً ، وقد مثلت دارالعلوم بديوبند ، ومظاهر العلوم بسهارنبور بصفة خاصة دوراً رائداً في نشر العلوم الإسلامية ، وصيانة العقيدة من التحريف .

دار العلوم بديوبند ومظاهر العلوم بسهارنفور

وبعد فشل الثورة في سنة ١٨٥٧هـ لم ير العلماء أمامهم طريقاً إلا فتح المدارس العربية والمعاهد الدينية ، فأنشأوا هذه المعاقل ليحتفظوا ببقايا الحياة الإسلامية ، وليكافحوا تيار الغرب المدني والثقافي ، ويخرجوا منها دعاة

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلام وعلماء الدين، فأسس الشيخ محمد قاسم النانوتوي مدرسة ديوبند سنة ١٢٨٣هـ، وأسس الشيخ سعادت علي (من بقية رهط الإمام السيد أحمد الشهيد) مدرسة في سهارنفور في نفس ذلك العام، ثم تواترت المدارس الدينية في أنحاء الهند، وقد نجحت هذه المدارس في رسالتها الدينية نجاحاً باهراً، وكان لأحد أبناء دار العلوم ديوبند، وهو الشيخ أشرف علي التهانوي (م١٣٦٢هـ) سهم كبير في نشر العقيدة الصحيحة، وإصلاح النفوس، وتهذيب الأخلاق والدعوة إلى الله، وقد عمل وحده عمل مجمع علمي كبير، وسرّ نجاح هذه المدارس في أداء رسالتها، ونشر الدين والعلم، أنها لم تكن تنال مساعدة من الحكومة، وكانت قائمة على أساس الزهد والتضحية والجهاد.

مدرستان تختلفان في المنهج تتفقان على الأساس

ومدرستان تتفقان على الأساس، وتختلفان في المنهاج، إحداهما مدرسة صادقفور[1] السلفية، رائدها العلامة ولايت علي العظيم آبادي من كبار خلفاء السيد

---

[1] صادقفور حي من أحياء مدينة بتنه في بيهار كانت مركزاً لأنصار السيد أحمد بن عرفان الشهيد

www.abulhasanalinadwi.org

أحمد الشهيد ، والثانية مدرسة للعلامة السيد نذير حسين الدهلوي تلميذ الشيخ محمد إسحاق بن محمد أفضل الدهلوي ، كانت مدرسة صادقفور تتسم بالجمع بين الدعوة وروح المقاومة ، والعمل بالحديث ، وعمارة الباطن ، ولعلماءها مآثر الفداء والإيثار والبطولة ، وخدمات جليلة للإسلام و مسلمى الهند .

وكانت مدرسة السيد نذير حسين تشد إليها الرحال من أقاصي البلاد وأدانيها ، وتخرج فيها علماء كبار درّسوا ، وألفوا في الحديث كالشيخ شمس الحق الديانوي ، والشيخ بشير السهسواني ، والعالم الرباني السيد عبد الله الغزنوي .

وينخرط في هذا السلك المؤلف الكبير النواب السيد صديق حسن خان القنوجي ، وكان تلميذ الشيخ محمد إسحاق الدهلوي .

نــدوة العلمــاء

ويصل نسب المدرسة التي أُنشئت في لكناؤ في ١٨٩٤م -١٣١٢هـ ، وهي المدرسة الثالثة الكبرى ، إلى هذا الجيل من الربانيين .

فقد أسس ندوة العلماء الشيخ محمد علي

www.abulhasanalinadwi.org

المونجيري ، ونخبة من العلماء ، ومن بينهم العلامة شبلي النعماني ، وكان من كبار مساعديه الشيخ عبد الحي الحسني ، وكان كلاهما من مسترشدي الشيخ فضل الرحمن الكنج مرادآبادي ، وهو من تلاميذ الشيخ عبد العزيز الدهلوي .

كانت ندوة العلماء التي أنشئت كحركة تعليمية وتربوية ، تجربة فريدة في التعليم والدعوة ، فقد انضم إلى هذه الحركة علماء باحثون كالعلامة شبلي النعماني (١٣٣٢هـ) صاحب المؤلفات العلمية الكثيرة ، ومؤسس المجمع العلمي المعروف بدار المصنفين في أعظم كراه ، وعدد من كبار المشايخ والمصلحين ، وقد كان تأسيس هذه المدرسة بغرض إقامة قنطرة تصل بين الثقافتين الإسلامية والغربية ، والطبقتين ، علماء الدين ، والمثقفين العصريين ، وإحداث فكر جديد يجمع بين محاسن القديم والجديد .

كان لهذه المدرسة فضل لا يستهان به في نشر الثقافة الإسلامية ، وعرض السيرة النبوية ، ومحاسن الإسلام وتعاليمه في أسلوب عصري قوي وثوب قشيب ، فقد كان لكتابات العلامة شبلي النعماني ، وتلميذه النابغة العلامة السيد سليمان الندوي ، والأستاذ عبد الباري الندوي تأثير

www.abulhasanalinadwi.org

قوي في نشر الفكر الإسلامي ، ورد كيد أعداء الإسلام بأسلوب علمي رزين .

وتولى رئاسة ندوة العلماء سماحة الشيخ أبي الحسن على الحسني الندوي بن العلامة السيد عبد الحي الحسني ، فقطعت ندوة العلماء شوطا بعيدا في الكفاح العلمي ، والدعوة الإسلامية ، والتربية في عهد رئاسته ، وقام سماحته بدور قيادي في معظم الحركات الدينية والتربوية ، بالإضافة إلى مجهوده العلمي الجبار .

و كان الشيخ الندوي يرأس بجانب رئاسة ندوة العلماء ، مجلس الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند ، وهيئة التعليم الديني ، وعلة منظمات هندية وعالمية .

حركة تحرير البلاد من الاستعمار البريطاني

وإلى هذا الجيل ينتمي العلماء الذين قادوا حركة تحرير البلاد من الاستعمار البريطاني كشيخ الهند محمود الحسن ، وشيخ الإسلام حسين أحمد المدني ، والشيخ عطاء الله البخاري ، ومولانا أبو الكلام آزاد ، والشيخ عبد الباري الفرنجي محلي ، والشيخ داؤد الغزنوي ، وقد أدى هذا الجمع بين العلوم الظاهرة والباطنة ، وبين الربانية والطريقة إلى خلود هذه السلسلة الذهبية ، فوجد جيل بعد

www.abulhasanalinadwi.org

جيل من العلماء والمشايخ لإرشاد المسلمين وشرح التعاليم في مختلف العصور حسب مقتضيات الظروف وإحياء الدين الإسلامي كلما واجه تحديات .

حركة الشيخ محمد إلياس للدعوة والتربية :

كان الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي الذي أسس الحركة الإصلاحية المعروفة بجماعة الدعوة والتبليغ من أسرة عميقة الصلة بخلفاء الإمام الشهيد ، وقد كان منهجه في الدعوة يقوم على الاتصال الشخصي بالمسلمين ، ودعوتهم إلى الخروج في سبيل الله ، وتعليمهم وتربيتهم أثناء جولات الدعوة ، وقد تركت هذه الجماعة أثرا واسعا وعميقا على حياة الخاصة والعامة من المسلمين ، وتوسعت دائرتها إلى مختلف أجزاء العالم الإسلامي ، وتغيرت حياة عدد لا يحصى ممن خرج في جولات الدعوة .

تولى الإشراف على الجماعة بعد وفاة الشيخ محمد إلياس في ١٩٤٤م نجله الشيخ محمد يوسف ، وبعد وفاته في ١٩٦٥م تولى الإشراف عليه الشيخ محمد إنعام الحسن الكاندهلوي ، وتوفي الشيخ محمد إنعام الحسن في ١٠/ محرم عام ١٤١٦هـ المطابق ١٠/ يونيه عام ١٩٩٥م .

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل الرابع

جهود العلماء بعد الاستقلال

نالت الهند الاستقلال وانقسمت البلاد إلي بلدين في عام ١٩٤٧م ، فمرت البلاد بثورة عصيبة ، وغليان للقومية والعداء الديني ، فكان لمعاقل التربية الدينية المذكورة دور عظيم في بقاء المسلمين في الهند وتربيتهم تربية دينية ، وكان في مقدمة الربانيين الذين قاموا بتوجيه المسلمين في هذه الفترة العصيبة شيخ الإسلام حسين أحمد المدني شيخ الحديث في دار العلوم بديوبند ، والذي كان له دور قيادي في حركة تحرير البلاد ، وقد كان محدثا كبيرا ، ومربيا عظيما ، وقائدا سياسيا في وقت واحد ، والشيخ عبد القادر الرائبوري ، والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي (١٤٠٢هـ) الذي أثرى المكتبة الإسلامية بكتبه في الحديث الشريف ، والتربية الإسلامية ، وأنشأ جيلا من العلماء والدعاة بتربيته .

وكان للشيخ محمد زكريا اتصال بسائر الحركات

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلامية التعليمية ، والتربوية ، والاجتماعية ، وكان يستفيد من رعايته الزعماء والقادة المسلمون باختلاف ميولهم ، وكان يراقب الحياة الإسلامية مراقبة دقيقة ولذلك يعتبر بحق الدرة الأخيرة في عقد الربانيين الكرام الذين كان لهم دور قيادي في الهند ، وكان يلتقي في مجلسه الزعماء السياسيون ، والحكام ، والعلماء ، والدعاة ، والمربون ، والباحثون ، وكل منهم يستنير برعايته في مجاله ، وبذلك كان شخصية جامعة تلتقي فيها مجالات العمل الإسلامي المختلفة ، وكان له دور ملحوظ يخلد في التاريخ في تأليف قلوب المسلمين وتربيتهم ، وإعدادهم لمواجهة الوضع المتغير ، والتحديات الناشئة عنه .

قام هؤلاء العلماء بجولات واسعة مضنية في الهند ، وأقاموا اتصالات شخصية بسكان المناطق النائية والمنعزلة ، وبحثوا مشاكلهم التعليمية والاجتماعية ، وأنشأوا حركات ومنظمات لمعالجة المشاكل الجديدة ، وللتوعية الإسلامية ، كمجلس الأحوال الشخصية الإسلامية ، والمجلس الاستشاري للمسلمين ، لتوحيد صفوف المسلمين ، وتهيئة منبر لبحث المشاكل الإسلامية السياسية ، ومجالس إقليمية للتعليم الديني ، وجمعيات طوعية أخرى ، وانتقل عدد كبير

www.abulhasanalinadwi.org

من العلماء إلى باكستان ، وتولوا قيادة المسلمين في ذلك البلد ، ولو لا حركة هؤلاء العلماء الربانيين لضاع التراث الإسلامي ، ولكانت الطاقة الإسلامية عرضة للتخريب والتشويه والضياع .

كان تأثيرحركة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد عاماً وشاملاً ، ظهر في مكافحة الغزو الاستعماري ، ومواجهة الفتن ، ومعالجة التحديات الفكرية ، وتربية الجيل الناشئ ، تعليمياً وثقافياً ، وعرض الفكر الإسلامي ، وصيانة العقيدة من التشويه ، وتنقية الإسلام من الشوائب ، وبذل العلماء المنتسبون إليها والمتسرشدون من خلفاء الإمام الشهيد ، جهوداً جبارة ومشكورة في إنشاء مدارس ومراكز الإصلاح والتربية ، وخدموا العلوم الإسلامية ، وفي مقدمتها التفسير والحديث ، والفقه ، مثل علماء الهند دوراً رائداً معترفاً به في شرح هذه العلوم ، ونشرها ، وإصلاح النفوس ، والتربية الدينية .

والإضافة إلى هذه الجهود توجهت عناية بعض العلماء حسب ذوقهم إلى عرض الفكر الإسلامي ، وحل القضايا المعاصرة بأسلوب عصري ، وتأليف أحزاب وجماعات للعمل من أجل العودة إلى ذاتية الإسلام ، وقد

www.abulhasanalinadwi.org

كان لمولانا أبي الكلام آزاد دور قيادي فيه ، فقد نفخت صحفه التي كان يصدرها كالهلال والبلاغ ، روح العمل والاجتهاد في المسلمين ، ونفوراً من الاستعمار وثقافته .

الشيخ أبو الأعلى المودودي :

وبذل الأستاذ أبو الأعلى المودودي في عرض الإسلام وحل مشكلات العصر، والتوعية الفكرية للمسلمين جهوداً مشكورة بغض النظر عن مؤاخذة العلماء على بعض توجيهاته ، فقد كانت له مساهمة كبيرة في عرض الإسلام علمياً ، وفي تأليف جماعة للعمل الإسلامي .

وقد أنشأت الجماعة الإسلامية مكتبة كاملة للكتب في الموضوعات الإسلامية ، وكان لحركته تأثير عميق على الفكر الإسلامي المناهض للغزو الفكري الغربي ، وانتقل مقر هذه الحركة إلى باكستان بعد الاستقلال ، و واصل الشيخ المودودي حركته ونشاطه العلمي والفكري من باكستان ، وانتشرت دعوته إلى العالم الخارجي عن طريق مؤلفاته ، وتأثر بها المثقفون العصريون بصفة خاصة .

المجمع الإسلامي العلمي

ويذكر في صدد جهود العلماء في عرض الفكر

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلامي مجمع "دار المصنفين" الذي أنشأه العلامة شبلي النعماني ، ثم وسع دائرة نشاطه العلمي العلامة السيد سليمان الندوي ، و"مجمع ندوة المصنفين" بدلهي للمفتي عتيق الرحمن العثماني ، و"المجمع الإسلامي العلمي" الذي أنشأه الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي بندوة العلماء ، فإن هذه المجامع أصدرت كتبا قيمة في مختلف الموضوعات الإسلامية بلغات مختلفة ، وكان للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي منهج يختلف عن منهج العلماء الآخرين في عصره ، فقد جمع في منهجه خصائص مدرسة الشيخ السرهندي ، والشيخ ولي الله الدهلوي ، والإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، وقد اتخذ طريقا جديدا للدعوة والإرشاد والتربية ، وجذب قلوب غير المسلمين بحركته "حركة رسالة الإنسانية" ، ورعايته لـ"حركة التعليم الديني"، ولقاءاته مع الحكام ، و إرسال رسائل توجيهية إليهم ، و كسب ود أصحاب النفوذ والقوة ، وإتاحتهم فرصة فهم الإسلام ، بجانب إثراء المكتبة الإسلامية ببحوث وتحقيقات علمية ، فامتاز بذلك بمنهج خاص للدعوة والتربية .

www.abulhasanalinadwi.org

الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي ومنهجه للدعوة و دوره في حل القضايا والمشاكل

ولد الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي في عام ١٩١٤م في رائي بريلي ، وقد شهد أجداده حركة الإمام أحمد ابن عرفان الشهيد ، وتأثروا بدعوته ، وكان أجدادهم على صلة بأسرة الإمام ولي الله الدهلوي ، وخلفاء الإمام السرهندي ، فكانت هذه الأسرة قد جمعت مزايا هذه المدارس الثلاث ، وورث الشيخ الندوي هذا المزيج الفكري والديني ، واعترف به في كتاباته ، فكان هم المسلمين والعالم الإسلامي ، والإنسانية بأجمعها يشغله في سائر مراحل حياته ، وقد جمع هم المسلمين ، وهم الإنسانية ، وقد عاش في عصر الصراع الدولي، حربين عالميتين ، وعصر غلبة الفكر الغربي ، والثقافة الأوربية ، وعصر القوميات والعصبيات اللغوية ، والثقافية ، وعصر استكانة المسلمين ، وتخلفهم وخضوعهم للسيطرة الأجنبية ، والجمود والركود

www.abulhasanalinadwi.org

في مجال العلوم الإسلامية ، وشـهد نشـاطات عـدة حركـات إسلامية ، وشارك في نشاطات بعضها وجربها واتصل بكبار قادة الفكر في عصره ، وشاهد في أسفاره ورحلاته إلى الدول الخارجية النشاطات التعليمية ، والتربوية ، بـدأ حياتـه بعـد الفراغ من مرحلة التعليم ، كمدرس ، لكنه ترك الوظيفـة ، وأطلق نفسه من قيدها ، ليقوم بأعبـاء الدعـوة والإصـلاح بحرية ، واختار منهجا خاصا للعمل ، ووسع دائـرة نشـاطاته مـن إطـار المسـلمين إلى الإنسـانية كلهـا بأسـلوب يميـل القلوب ، ويجذب النفوس بـالكتب والخطـب ، والرسـائل واللقـاءات ، والحـوارات ، يخـاطب بـها الحكـام ، والقـادة ، والمثقفين ، وعامة الناس ، لكل طبقة أسلوب ، ولكـل بيئـة طريقة خاصة .

إنه كان يدعو إلى العودة إلى الإسلام في عصر غلبـة الأفكار الأجنبية ، عند ما كـان الإسـلام في قفـص الاتـهام ، فواجه هذا الغـزو بأسـلوب علمـي رزيـن مقنـع ، وهـاجم الحضارة الغربية ، بدون أن يثير كراهية أو حقدا أو رد فعـل في النفـوس ، يعالج مركب النقص في المسـلمين ، ويحفزهـم إلى العمل البناء ، ويكسـر شـوكة الأعـداء ، كـان في ذلـك أسلوبه أسلوبا معتدلا بين الأصالة والمعاصرة ، إنـه لم يكـن

www.abulhasanalinadwi.org

يدعو إلى الرفض الكامل للحضارة الغربية ، ولا إلى القبول الكامل ، وإنما كان منهجه منهج الجمع بين القديم والجديد كان دائم الفحص والاختبار ، والدراسة والتفكير ، وقد أوضح مسلكه في كتابه **"الصراع بين الفكرة الإسلامية الشرقية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية"** إنه كان يخاطب طلاب المدارس الدينية ، ويطالبهم بتجديد المناهج ، ويخاطب طلاب المدارس العصرية ، ويطالبهم بالرجوع إلى منابع الإيمان واليقين ، وتربية النفس ، والخلق الحسن ، فكان مجال عمله مجالا واسعا ، ويخاطب العلماء والعاملين في مجالات العمل الإسلامي ، فيدعوهم إلى البحث والنقد البناء ، والاقتباس من العلم الجديد ، والمناهج الجديدة ، والنهوض لمواجهة الأخطار والتحديات الجديدة ، بدلا من التحصن والإنزواء ، و وجه الدعوة إلى الجمع بين القلب والفكر ، والعاطفة والتدبر ، وبين الإنابة إلى الله والتضرع إليه ، وبين الاجتهاد والجد في العمل ، ومن أجل ذلك كان شخصية جامعة ، فإنه كان باحثا وداعيا وزعيما ، يخوض معركة الحياة ، ويحل مشاكل المسلمين في الهند ، وينفعل بما تصيب الإنسانية بصفة عامة من مصائب وآلام ، وكوارث ،

www.abulhasanalinadwi.org

ومآسي ، ويرفع صوته ، ويخاطب الضمير الإنساني[١]، وله منهج خاص لمعالجة القضايا السياسية ، وكان مصلحاً ربانياً يعيش حياة الزهد و الورع ، يقول الحق ولا يخاف لومة لائم ، وكان مصلحاً اجتماعياً ومربياً دينياً في وقت واحد ، فكانت حياته ذات جوانب متعددة ، وقد وصفه الدكتور يوسف القرضاوي الذي عرفه شخصياً و درس فكره عملياً بـ"رباني الأمة"و "الرجل القرآني المحمدي" الذي جعل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أسوته في هديه وسلوكه وحياته كلها ، واتخذ سيرته نبراساً له ، و"عالمي العطاء"، فتحدث إلي العرب ، و إلى أمريكا و أوربا ، وكان عضواً لعدد من المؤسسات العالمية .

إن هناك سؤالاً ينشأ في الأذهان عند دراسة شخصية الشيخ الندوي الجامعة ، وهو أنه كيف التقت فيه هذه الصلاحيات والقدرات المتنوعة التي إذا وجدت صلاحية واحدة منها في زعيم كان من الفحول ، وقد يرد

[١] للتفصيل يراجع كتاب "في مسيرة الحياة" للشيخ الندوي، وكتاب "يحدثونك عن الشيخ الندوي" للدكتور محسن العثماني، و"الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي" للدكتور محمد اجتباء الندوي، و"الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته" للدكتور يوسف القرضاوي، والأعداد الممتازة عن حياته للمجلات العالمية التي صدرت على وفاته .

www.abulhasanalinadwi.org

على السؤال ما كتبه الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ بنفسه في مقدمة له لكتاب "الأمير صديق حسن خان القنوجي" بقلم الدكتور محمد اجتباء الندوي ، فكتب يقول :

"لقد ولدت في بيت كان موضوعه الحبيب ، بل هوايته التأليف في سير الرجال وطبقاتهم ، وتراجم العلماء ، وأهل الفضل ، و خاصة الذين أنجبتهم أرض الهند ، ونبغوا في شبه القارة الهندية منذ دخول الإسلام في هذه البلاد إلى هذا القرن ، ونشأت في بيئة كان الحديث الدائر المتكرر في أوساطها ومجالسها ، وتكأة المتحدثين فيها الإشادة بالمثل والقيم الإنسانية والعلمية ، والتنويه بسمات العلماء الكبار ، ومجالات اختصاصهم وتبريزهم ، والشعائر الغالبة عليهم ، والتغني بنبوغ أصحاب النبوغ ، وعبقرية أصحاب العبقريات في مختلف العصور والأمصار في إكبار وإعظام ، بل في شيء من الهيام ، فثارت في نفسي ملكة الإعجاب بمواضع العظمة ، والنبالة ، ومكارم الأخلاق ، وعلو الهمة ، وسمو النفس ، من بين أفراد البشر في سن مبكرة لا تنبعث هذه الملكة في غالب الأحيان ، والملكات البشرية المودعة في طبائع الأطفال قد يثيرها باعث خاص من بيئة وتربية وحوادث مخصوصة ، فتنقدح وتتفتق قبل

www.abulhasanalinadwi.org

أوانها الطبيعي المعتاد .

قد نشأت بصفة خاصة على حب التفنن في الفضائل ، والجمع بين الأشتات ، بل الأضداد من الفضائل الإنسانية ، وأنواع العلوم والمعارف ، والآداب والثقافات ، وعلو الهمة ، والقدرة الفائقة على التنسيق بينها ، وتسخيرها للوصول إلى غاية مثلى ، وخدمة العلم والدين ، حتى لو أدى ذلك إلى المشاركة في علوم وآداب يتحاشى عنها كثير من علماء الدين ، ويعدونها من حثالة العلوم ، وبراية الآداب .

ونشأت كذلك على حب من يوفقه الله ويقويه على الجمع بين الرياستين العلمية والعملية ، والحسنيين الدنيا والآخرة ، والنقيضين (في عرف الناس) في إمارة و وزارة من جانب ، والاشتغال بالتأليف والتدريس ، والتربية والإرشاد ، والإصلاح وإزالة الفساد في جانب آخر .

إن عكوفه على البحث والتحقيق والتأليف الذي تدل عليه كتبه القيمة التي أثرت المكتبات الإسلامية ، كـ **"ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" و"الصراع بين الإيمان والمادية" و"الصراع بين الفكرة الإسلامية الشرقية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية" و" الأركان الأربعة" و"السيرة**

www.abulhasanalinadwi.org

النبوية" و"رجال الفكر والدعوة في الإسلام"، والكتب الدراسية للأطفال والناشئين، ونشاطه في مجال الأدب الإسلامي، والدعوة والإرشاد، إن عكوفه وانشغاله بهذه الأعمال لم يمنعه من قيادة حركات اجتماعية للمسلمين، ولغيرهم كـ"حركة التعليم الديني"، و"حركة إصلاح المجتمع"، و"حركة رسالة الإنسانية"، وقد كانت حركة رسالة الإنسانية حركة لا يوجد لها نظير في الحركات الإسلامية السابقة، وفي تاريخ العلماء والدعاة السابقين.

إنشاء حركة رسالة الإنسانية

لقد أنشأ حركة رسالة الإنسانية لحبه للإنسانية، وقد عبر بعض القادة من المسلمين عن مخاوفهم بهذه الحركة بأنها تؤدي إلى وحدة الأديان، أو أنها تحول عن عمل الدعوة إلى الإسلام، والواقع أن هذه الحركة كانت مجهودا لتقويم سلوك الإنسان، وبث المثل الخلقية في المجتمع البشري التي تتفق عليها جميع الأديان، وقد اقتضت ظروف المعيشة التي غزتها المادية الرعناء، وحب المال، وحب الجاه، والمصلحة مثل هذه الحركة، وهي حاجة العصر، لذلك نالت هذه الحركة القبول من سائر الأديان، و وراء هذه الأهداف الإنسانية هناك هدف آخر، وهو ملأ الخليج بين

المسلمين وغير المسلمين ، وإتاحة فرص اللقاء بين المسلمين وقادتهم ، وبين قادة الأديان الأخرى لإزالة الشكوك والشبهات في المسلمين التي تبثها الحركات الطائفية المعادية للإسلام والمسلمين ، وعرض الوجه النقي لتاريخ الإسلام ، وعرض صور التسامح التي تشتمل عليها تعاليم الإسلام ، وقد شوه هذا الوجه و زور التاريخ المستشرقون وتلاميذهم بكتب موجهة تعتدي على الإسلام والمسلمين ، وقد حققت هذه الحركة هذا الهدف الكامن ، فاعترف بعض القادة من غير المسلمين أنهم ما كانوا يعرفون أن المسلمين أيضاً في قلوبهم محبة للإنسانية وللوطن ، وإنما كنا نعرف أنهم حملة السيف .

صرح سماحة الشيخ الندوي أن أسرته كانت على اتصال دائم بالإمام السرهندي وخلفائه ، والإمام الشيخ ولي الله الدهلوي وخلفائه في عصورهم المختلفة ، ولذلك جمعت هذه الأسرة خصائص المدرستين في العلم والفكر ، والدعوة والتربية والإصلاح ، وكان من مزايا هاتين المدرستين الاتصال المباشر بالشعب بمختلف طبقاته ، ومتابعة قضاياه ، وبذل الجهد لحل هذه القضايا .

ولم يمنع الاشتغال بالتنصيف والتأليف ، والتدريس

www.abulhasanalinadwi.org

عن معالجة القضايا العامة ، سواء كانت هذه القضايا تتصل بالمسلمين ، أو بغير المسلمين ، فكانت حياة الشيخ الندوي حافلة بالنشاطات الاجتماعية ، ولذلك كان يتابع مجريات الحياة ، فلما شاهد الشيخ الندوي تدهور الأحوال الاجتماعية ، وطغيان المادة ، وفساد البيئة العامة تصدى لمواجهته ، وكان إنشاء حركة رسالة الإنسانية رمزاً لهذا الاهتمام بإصلاح البيئة العامة ، وكان سماحته يشعر أن المجتمع الإنساني بمثابة سفينة إذا غرقت هذه السفينة غرق جميع أفراد هذا المجتمع .

جهوده لإصلاح المجتمع الإنساني

أنشأ سماحته حركة رسالة الإنسانية التي كانت تهدف إلى إصلاح المجتمع الإنساني بغض النظر عن الطبقات والأديان في عام ١٩٧٤م بحملة شعبية لإيقاظ الضمير الإنساني إثر حوادث العنف ، والاستغلال ، وفشو الرشوة في الأوساط الرسمية ، وقتل الزوجات ، وفي عام ١٩٨٢م قام برحلات متتابعة في أنحاء الهند المختلفة ، وأقام اتصالات بالقادة ورجال الفكر.

وفي أحد هذه الاجتماعات ، والذي عقد في حيدرآباد صرح سماحته :

www.abulhasanalinadwi.org

"إن لكل إنسان في هذه الحياة دارين: دار يسكنها هو وأعضاء أسرته ، ويحرص كل إنسان أن تكون هذه الدار مأمونة ، وأن يعيش فيها بسلام ، وهناك دار أخرى وهي أكبر من هذه الدار الشخصية ، وهي دار البلاد ، ونحن ننسى في غالب الأحوال عن هاتين الدارين كلتيهما لنا ، إحداهما صغيرة ، فيها أسرة واحدة ، والأخرى كبيرة فيها المواطنون ، وهم أفراد الأسرة الوطنية الكبرى ، وترتبط مصلحة الدار الصغيرة بمصلحة الدار الكبرى ، فإذا فسد نظام الدار الكبرى فسد نظام الدار الصغرى" ، وقال :

إن فساد المجتمع ، وإهمال مبادئ الأخلاق ، وغلبة الشر، وحب المال يؤدي إلى فساد كل فرد من أفراد المجتمع .

وصرح سماحته في كلمة ألقاها في إحدى الاجتماعات : "إن العالم الإنساني يحتاج فيما يحتاج إليه إلى أن توضع أمام الإنسان بالارتفاع عن المصالح الذاتية والعصبيات القومية والمصالح السياسية ، تلك الحقائق والقيم التي تلزم لنجاته وحياته بأمن وسلام ، وهي حقائق إذا أغفلناها تعرضت حضارتنا ومجتمعنا لأخطار جسيمة ، وواجهت الإنسانية صراعا عنيفا ، قد بين هذه الحقائق الأنبياء في عصورهم ، وجاهدوا في سبيلها ، و لا تزال هذه

www.abulhasanalinadwi.org

الحقائق تحمل هويتها وتأثيرها ونفعيتها للإنسان وتقدر أن توصل الإنسان اليوم إلى النجاة ، لكن الحركات والمنظمات المادية ، والنزعات القومية أثارت الغبار الكثيف على الأنظار ، ولكن ضمير الإنسان لم يمت رغم هذه العواصف الهوجاء ، ولم يجمد ذهن الإنسان ، ولم يتعطل عن العمل ، فإذا عرضت الدعوة إلى هذه الحقائق بإخلاص وبأسلوب سهل يفهمه الإنسان اليوم ، فإن ضمير الإنسان وذهنه سيتجاوبان لهذه الدعوة ، ويعرف الإنسان أن هذه الدعوة بلسم لجروحه .

وقد حققت هذه الحركة هدف التقارب بين المسلمين وغيرهم ، وجمعت على رصيف واحد أعداءهم الذين اعترفوا بعد سماع كلماته أن هذه الحركة حاجة العصر ، وتغير تصورهم عن المسلمين ، وبذلك أتيحت لهم فرصة دراسة الإسلام ، وتغير موقفهم إزاء قضايا المسلمين ، بل قدم عدد منهم خدماتهم لحل قضايا المسلمين ، وأصبحوا مدافعين عنهم ، وكانوا يقومون بزيارة الأماكن التي تحدث فيها الاضطرابات الطائفية ، ويشتركون في أعمال الإسعاف ، وقد ساعدت هذه الاجتماعات في بعض الأماكن على إخماد الفتن وتهدئة الأعصاب ضد المسلمين .

www.abulhasanalinadwi.org

وقد عارض بعض العلماء المخلصين العاملين في مجال الدعوة الإسلامية هذه الحركة لعدم فهم أهدافها ونوايا القائمين بها ، وناقش بعضهم سماحة الشيخ في هذه المسألة، ولكن سماحته واصل جهوده في هذه الجهة إلى آخر أيام حياته ، وكان يثبت همم العاملين في سبيله ويؤيدهم .

ومن جهة أخرى كان سماحته يؤكد خلال حديثه مع المسلمين على أن يشتركوا في أعمال بناء الوطن ، ويزيلوا من مجتمعهم أسباب التخلف ، والصراع ، والجهل ، وأن يكون وجودهم باعث الخير والبركة لهذه البلاد ، وكان موضوع خطابه حتى في أيام مرضه" ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً** ﴾ [1]، وكان يشرح الفرقان بأن تتميزحياة المسلمين عن غيرهم كلياً في سائر مجالات الحياة ، وتتصف بالصدق ، والأمانة ، والإخلاص ، والاجتهاد ، والمؤاساة ، والإيثار ، فيكسبوا بهذه الخصال حب من يعايشهم وتقديرهم ويعتبروا بركة ولا وبالاً للبلاد .

كان سماحة الشيخ الندوي في أحاديثه مع المسلمين في الجلسات العامة واللقاءات الشخصية يؤكد على

---

[1] سورة الأنفال الآية: ٢٠٨

www.abulhasanalinadwi.org

التمسك بالقيم الخلقية ، وخدمة الإنسانية بغض النظر عن الدين والطبقة ، وكان يصرح أن الإسلام ليس بمجرد عقيدة وعبادة ، وإنما هو دين شامل كامل يغطي الحياة كلــها ، وفيـه تعاليم للرحمة والعطف حتى على الحيوانات ، وكان يقـول : يجب أن يكـون المسـلم مسـلما كـاملا في عقيدتـه و منـهج عبادته ، وخلقه مع الناس ، وأن يتميز عــن غـيره ، فيعـرف بين الناس بأنه مسلم ، فيقال إنه لا يكذب لأنه مسلم ، إنـه لا يسرق لأنه مسلم ، إنه لا يقبل الرشوة لأنه مسلم ، إنه لا يخدع لأنه مسلم .

كان موضوع خطاباته في آخر أيام حياته :﴿ادخلوا في السلم كافة﴾[1]، أي كاملا في جميـع ميـادين الحيـاة ، ولذلـك ألف كتابا يعتـبر دليـلا لكـل مسـلم ، "العقيـدة والعبـادة والسلوك"، وكان أيضا يؤكد في آخر أيام حياته في خطاباتــه العامـة ﴿ يـا أيـها الذيـن آمنـوا إن تتقـوا الله يجعـل لكــم فرقانا﴾[2] ، وكان يشـرح الفرقـان بالسـمة الـتي يعـرف بـها المسلم ، والشعار والشارة بين الناس ، وكان يفسر هذه الآية بقوله"إن المسلم إذا عاش حياة متمـيزة عـن غـيره ، واتبـع

---

[1] سورة الأنفال الآية: ٢٩

[2] سورة الأنفال الآية: ٢٠٨

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلام اتباعا كاملا عرف بين الناس وشهر وصار موضع الاحترام والتقدير والإكرام بين الناس .

منهجه لإصلاح المجتمع المسلم

ولإصلاح المجتمع المسلم قاد سماحته حركة إصلاح المجتمع الإسلامي لتنقية ما دخل في حياة المسلمين من عادات وتقاليد لا يقرها الإسلام ، وعقد أول مؤتمر لعموم الهند لإصلاح المجتمع الإسلامي في ندوة العلماء برئاسة سماحة الشيخ الندوي ، ثم فتحت فروع في المدن الأخرى ، وتحولت هذه الحركة حملة مكثفة في عموم الهند ، وكان لها أطيب الأثر ، وكان من أهدافها مكافحة الاستغلال ، والإسراف في الزواج ، والمطالب الغالية ، ومكافحة التمييز على أساس العائلة أو الطبقة أو الوضع الاقتصادي ، وذلك في ضوء تصوره أن لكل إنسان دارين: دار صغيرة، و دار كبيرة ، ولا يتم الإصلاح إلا بإصلاح الدار الصغيرة ، والدار الكبيرة .

بالإضافة إلى هذه النشاطات ، كان سماحته دائم الفكرة ، والحذر عن الاتجاهات والنزعات الهدامة ، كالقومية ، والتفرقة العنصرية ، والاعتداء على الضعفاء ، واستغلال الإنسان ، والتحديات الثقافية ، والأخطار التي

www.abulhasanalinadwi.org

تحدق بالأمة الإنسانية ، فكان يــهب في كـل موضـع خطـر ، ويرفع صوته ، فحـارب بقوة القومية العـربية الـتي تحولـت إلى عقيدة و دين ، وحارب النـــزعة الاشـتراكية الـتي أدت إلى إلحـاد ، وراسـل الحكـام المسـلمين والملـوك المســلمين ، يدعوهم بأسلوب حكيم إلى الحفاظ على الثقافة الإسلامية ، وكان ينصحهم كلما أتيحت له فرصة اللقاء بهم ليتخــذوا وسائل كفيلة لوقاية البلــدان الإسـلامية مـن الذويـان ، أو الاندثار والتبعيـة للقـوى الخارجيـة ،وتربيـة الجيـل الجديـد تربية دينية ، من دون أي تقصير في اتخاذ وسائل مادية لرقـي البلدان الإسلامية [1] .

هذه هي بعض الجوانب لحياة الشيخ النـدوي الـتي انفرد فيها وتميز عن غيره من الدعاة والعلمـاء والمفكريـن ، ولم تكن هذه المواقف إلا عبارة عن فراسته الإيمانية وإدراكـه لبواطن الأمور والأسباب ، والعواقــب للأعمـال ، وكـانت ناتجـة عـن بصيرتـه العميقـة ، ولا تقـل قيمـة تأثـير هــذه المواقف عن أعماله العلمية وإسهاماته العملية الأخرى .

وهذا غيض مــن فيـض ولا يحيـط بجميـع جوانـب

---

[1] ليراجع إلى ما كتبه سماحة الشيخ الندوي في"مـــاذا خســر العــالم" و"الصراع" و"نحو التربية الإسلامية الحرة".

www.abulhasanalinadwi.org

حياته التي ظهرت فيها بصيرتـه النـافذة ، و إدراكـه الغـائر العميق، وفراسته الإيمانيـة ، وهـي كثيرة ممتـلة ، وقـد شـق طريقه ووضع منهجه على دراسة وبصـيرة وتجربـة ومتابعـة متواصلة للأحداث .

لقـد كـان سماحتـه بـهذه الجـهود داعيـاً إسـلامياً ، وإنسانياً ، ومفكراً عظيماً ، وعاملاً نشيطاً ، ومجتهداً ، صابراً في وجـه الغـزو ، فكـان خـير خلـف لأسـلافه ، وجامعـاً لخصائصـهم ، ومميزاتـهم ، ولم تمنعـه مـن هـذه النشـاطات أمراضه ، وأشغاله المختلفة المتعددة ، بـل واصـل جـهده إلى آخر أيام حياته ، فاستأثرت بـه رحمـة الله تعـالى في ٣١/ مـن شهر ديسمبر ١٩٩٩م ، وقد طبق الآفاق ذكره ، وقد قدم للعالم المعاصـر مآثر الأسلاف الثلاثة الإمام السرهندي ، والشـيخ ولي الله الدهلوي ، والإمام أحمد بن عرفان الشـهيد ، كتابيـاً بكتابه **"رجال الفكر والدعوة في الإسلام"** ، وعمليـاً بـالاقتداء بهم ، واقتفاء أثرهم حسب ظـروف بيئتـه ، فجـزاه الله عنـا جميعاً خير الجزاء .

فلله الحمد في الأول والآخر وهو نعم المـولى ونعـم النصير .

❊ ❊ ❊

www.abulhasanalinadwi.org

الفهرس

الموضوعات	الصفحة
١ - بين يدى الكتاب	٣
٢ - تقديم	١٠
٣- منهج علماء الهند في الدعوة والتربية	١٨
٤ - دور الشيخ معين الدين السجزي في دعم الحكم والدعوة الإسلامية	٢١
٥ - موقف العلماء الربانيين أمام الحكام	٢٣
٦ - حركتان تلتقيان وتفترقان	٢٥
الفصل الأول	
٧ - عناصر تربية العلماء وخصائصهم الذاتية	٢٨
٨ - تسخير القلوب بالمحبة	٢٨
٩ - اتباع الشريعة والتزامها والتمسك بالسنة النبوية	٣٠
١٠ - أسوة في الحياة الخاصة والعامة	٣٩
١١- العلم والتفقه في الدين	٤٢

www.abulhasanalinadwi.org

١٢ – اهتمام الربانيين بتربية الحكام
وحثهم على الدعوة والجهاد ٤٤
١٣ – مراقبة الحكام عن كثب وتسديد خطاهم
وإرشادهم وعدم الانتفاع بهم مادياً ٤٥
١٤ – فيروز شاه تغلق
والشيخ نصير الدين جراغ دهلي ٤٦
١٥ – الحكام والسلاطين الذين نشأوا
في تربية الربانيين ٤٨

الفصل الثاني

المناهج الرئيسية

١٦ – الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي ٥٦
١٧ – كتب تنوب عن كتائب ٥٩
١٨ – الشيخ ولي الله الدهلوي
الشخصية الجامعة ٦٧
١٩ – مجهوداته لإصلاح المجتمع وأفكاره ٦٩
٢٠ – الإمام الشيخ أحمد بن عرفان الشهيد
والجمع بين الدعوة والتربية والجهاد ٨٠
٢١ – منهج الإمام أحمد بن عرفان ٨٢

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل الثالث

٢٢– عهد الاحتلال الإنجليزي ٩٠
٢٣ – دار العلوم بديوبند
ومظاهر العلوم بسهارنبور ٩١
٢٤ – مدرستان تختلفان في المنهج
تتفقان على الأساس ٩٢
٢٥ – ندوة العلماء ٩٣
٢٦ – حركة تحرير البلاد من الاستعمار البريطاني ٩٥
٢٧ – حركة الشيخ محمد إلياس للدعوة والتربية ٩٦

الفصل الرابع

٢٨ – جهود العلماء بعد الاستقلال ٩٧
٢٩ – الشيخ أبو الأعلى المودودي ١٠٠
٣٠ – المجمع الإسلامي العلمي ١٠٠
٣١ – الشيخ أبوالحسن علي الحسني الندوي ومنهجه
للدعوة و دوره في حل القضايا والمشاكل ١٠٢
٣٢ إنشاء حركة رسالة الإنسانية ١٠٨
٣٣ – جهوده لإصلاح المجتمع الإنساني ١١٠
٣٤ – منهجه لإصلاح المجتمع المسلم ١١٥
٣٥ – الفهرس ١١٨

www.abulhasanalinadwi.org